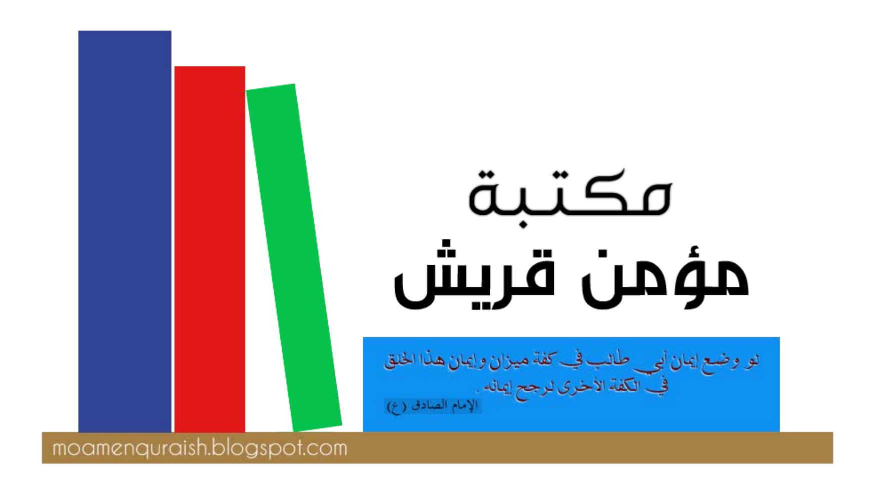
الشيخ المهندس
حسين البيات

سيكولوجيّة الذّنب

المعصية - التوبة - النرفزة







سيكولوجية

المعصية - التوبة - النرفزة

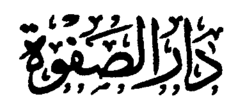

بسم الله الرحمن الرحيم

سيكولوجية

المعصية - التوبة - النرفزة

الشيخ المهندس

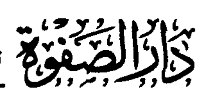
حسين البيات



الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م



ISBN: 978-9953-545-83-7



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - بئر العبد - خلف محطة دياب - ص.ب: 25/91 الغبيري

فاكس: 00 29 55 (9611+) - هاتف: 42 49 27 (9611+) - 49 01 80 03

E-mail: dar_asafwa@hotmail.com

مقدمة الكتاب



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

تلك رحمة الله التي شملت العالمين بوجود رسول الإنسانية محمد ﷺ وعترته الطاهرين الذين زقوا العلم زقاً وآن للإنسانية أن تغرف من هذا المعين الصافي، ولابد لنا كمسلمين ان نتعرف على هذه الكنوز العظيمة ونستفيد منها في بلورة مفاهيم وقيم اخلاقية نستطيع من خلالها فرض نظريات لها بعدها العلمي وان نوسع تلك النظريات ليتعرف العقل الفكري الجديد على ثقافة حيوية جيدة. ولذا فاننا سوف نستفيد من هذه المصادر العميقة لبلورة نظرية اخلاقية متناسقة مع النظرة الحديثة بما توصلت إليه تلك النظريات من جذور دراسة بالغة، والحق ان التقدم العلمي وحداثة الثقافة وتطور

كثير من العلوم لاسيما الإنسانية منها فإن خطوات البحوث الأخلاقية الإسلامية لم تتقدم باطراد مع تطور تلك العلوم ما يجعل المثقف المسلم إما أن يتبنى الأطروحات الحديثة في علم النفس والاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية وإما أن يبقى حبيس الثقافة الإسلامية التقليدية والتي هي بحاجة إلى تحديث يناسب المرحلة.

وعندما نرجع إلى المصادر الإسلامية لاسيما المصادر المعصومة عن بيت العصمة نجد أن كثيراً من التوصيات والتوجيهات الأخلاقية لم تدرس بشكل يناسب حجم تلك الكلمات الموجودة، وكثيراً ما تكون دراستنا لها من خلال البحث الجزئي لكل عنوان دون أن نبحث بشكل أوسع كما صنعت المدرسة الأصولية والفقهية الإمامية، فبقيت تلك المصادر الحديثية على وجه الخصوص بعيدة عن الواقع الثقافي نظراً لعدم الاستفادة منها بشكل مناسب.

ولعل محاولة التوسعة والاستفادة من العلوم الحديثة لطرح الفكر الإسلامي بخطاب وأدبيات تناسب هذا الانتشار والعموم الثقافي لهو من الأمور المهمة، وهذا ما حاولنا طرحه بشكل يرجى أن يكون له فائدة أو ليكون لبنة لفكرة جديدة للمستقبل، ولعل محاولة طرح عناوين جديدة كـ

(سيكولوجية المعصية) و(سيكولوجية التوبة) و(سيكولوجية الغضب) وهي سيكولوجيات تحاول توطيد هذا المضمون العلمي لمدرسة أهل البيت الثقافية وليكون لها السبق في تحديث نوع الخطاب القادم.

لن أطيل في الحديث ولكن لهذه السلسة أجزاء قادمة وهي (سيكولوجية الاعتقاد) وهي تتحدث عن أثر المعرفة والعلم على شدة وتقديس الشخصيات لاسيما الشخصيات التي لا تملك عمقاً علمياً ومعرفياً إلا بما تموهه على الساحات الاجتماعية حتى تصبح أفكارها مما لا تقبل النقد والانتقاد.

وأما الأجزاء الأخرى فستكون حول الأسس والفضائل والقيم الأخلاقية كما يطرحها أهل بيت العصمة والطهارة منها: سيكولوجية البخيل وسيكولوجية المغتاب والحسود وغيرها من الفضائل والرذائل الأخلاقية في مجموع القيم الإيمانية.

وختاماً أدعو القارئ الكريم إلى التمعن بجد فيما تحتضنه كتبنا الحديثية الصادرة عن أهل بيت العصمة فإن فيها بحراً عميقاً من العلم الذي لا ينزف وعلينا أن نبحث بجد في

هذا الماء الزلال من العلم والمعرفة حتى نصل إلى فهم واعٍ عن الإسلام العزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسين البيات

١٨ ـ ١٢ ـ ١٤٢٥ هـ

* * *

سيكولوجية المعصية



المعصية هي الخروج عن طاعة الله سواء أكانت بعدم تنفيذ أوامره الواجبة، أو باقتراف نواهيه المحرمة من دون مبرر مقبولٍ شرعاً، كما في أكل الميتة أو شرب الخمر للمضطر. أما مخالفة الأوامر الاستحبابية أو النواهي المكروهة فلا تُعد معصية(*)(١).

ولغة: عصى العبدُ ربه إذا خالف أمره وعصى فلان أميره يعصيه عصياً وعصياناً ومعصية إذا لم يطعه فهو عاصٍ وعصيٌ(٢) والعصيان هو الاسم.

---

(١) (*) قد يعد مخالفة الأولى معصية لمن هم في الدرجات العليا من الله، بل إن بعض المعاصي تُعتبر أشد في نظر الناس والمتشرعة إذ صدرت من شخص متلبس بالتدين عن الشخص الغير متلبس بذلك، للإستزاده يراجع كتاب المعصية وأثارها في الحياة الإنسانية للسيد كامل الهاشمي ص ٧ ـ ٩.

(٢) لسان العرب ج ١٥ ص ٦٤ ومجمع البحرين ج ١ ص ٢٩٣.

والمعصية في إطارها النفسي هي سلوك شاذ عن الفطرة السليمة التي أودعها الله في النفس البشرية فيما إذا كانت متعلقة بتوحيد الله، ولا يفرق في ذلك بين من تربى على ذلك النهج الفطري أو الخارج عنه، أما إذا كانت مخالفة للأمر الإلهي في الواجب والمحرم فقد لا ندعي شذوذ السلوك ولكنه يخرج عن إطار السوية السلوكية لمن تربوا على القيم الدينية والإسلامية، بمعنى أن الشخص الذي عاش في مجتمع تعيش فيه القيم الدينية السامية ومع ذلك فإنه يقترف المعاصي فإن هذا يُعدُ شذوذاً سلوكياً عن القيم الاجتماعية السائدة. ذهب الدكتور البستاني[1] إلى أن الشخصية المؤمنة بوجود المبدع إذا التزمت بمبادئ السماء فهي «سوية» وإذا لم تلتزم فهي مريضة.

وهذا التعريف يتوافق مع ما طرحناه، إلاّ أن الاختلاف هو في أننا نشترط الخروج عن السوية بوجود التربية والتعليم على المبادئ الإلهيةُ، فيُعد الخروج عليها شذوذاً، وأما إذا كان مجرد اعتراف بالمبدع فلا يكفي في خروج الشخصية عن السوية.

ويدخل في المعصية بإطارها النفسي لا الشرعي ما

---

(١) في كتابه علم النفس الإسلامي ج ٢ ص ٢٨٤.

يدور في النفس البشرية من الخلجات النفسية أو الفكرية كالحيرة بين إرضاء أمر الله أو أمر المجتمع أو التفكير في اثنينية الخالق وذاته. وذلك أننا نفترض أن الاتجاه الطبيعي للنفس الإنسانية هو في إرضاء الله، وذلك إما من باب شكر المنعم الخالق باتباع أوامره أو لدفع الضرر المحتمل عن دخول النار. إذ نلاحظ من خلال الآية الشريفة: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾. فالله أولى بالطاعة والخشية من الناس، وهذه الأحقية هي أحقية عقلية، وأما على رد إثنينية الخالق فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، وهو دليل عقلي أيضاً على أن البرهان والعقل الصحيح سيتوصل إلى وحدانية الخالق.

السلوك البشري ينقسم إلى قسمين:

١ ـ سلوك سوي.

٢ ـ سلوك شاذ.

ما هو السلوك: السلوك هو التصرف الذي يقوم به الفرد في ظروف محيطه البيئية والاجتماعية بشكلها العام انطلاقاً من حالة نفسية داخلية جعلت الإنسان يتصرف ذلك التصرف.

السلوك = تصرف خارجي + التركيبة النفسية + الظرف (المحيط)

ونجد في معادلة السلوك مزج بين ثلاثة عناصر نجدها في المعادلة تحدد معنى السلوك السوي والشاذ، أي السلوك الذي تعتبر فيه النفس البشرية سوية أو شاذة.

قبل الاسترسال أكثر في الموضوع نتوقف لنتعرف على معنى السلوك السوي ومعنى السلوك الشاذ[١].

ما هو السلوك الشاذ:

هناك نظريات عدة مطروحة يستند عليها في تحديد معيار السلوك الشاذ.

النظرية الأولى: الاتجاه الذاتي في تحديد الشذوذ ويتبنى هذا المعيار الدكتور موس *(MOSS)* والدكتور هانت *(Hunt)* في كتابهما «أسس علم الشذوذ النفسي» وهي تنطلق من الاحكام التي نصدرها على الناس بكونهم أسوياء أو شاذين بعد إستعراض ظروفهم وتصرفاتهم وقياسها مع أفكارنا وتصوراتنا الذاتية، فالسوي ما يتلاءم مع رغائبنا الشخصية والشاذ هو المعاكس لها.

النظرية الثانية: الاتجاه الطبيعي في تحديد الشذوذ.

---

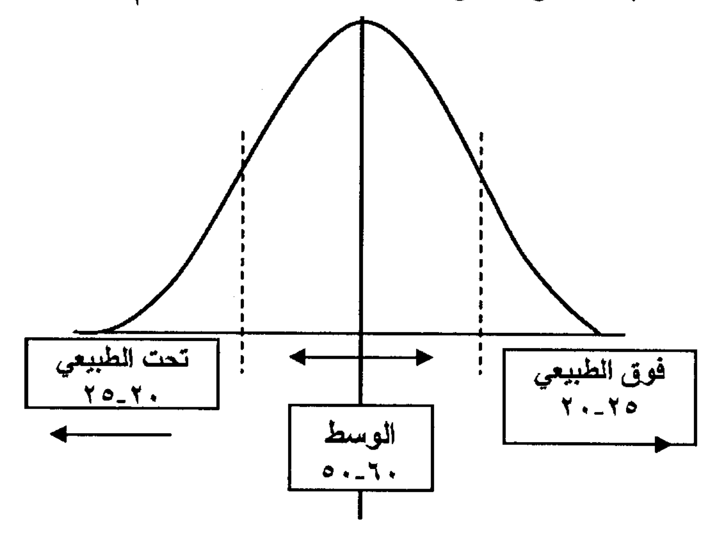
(١) الصحة النفسية. د. نعيم الرفاعي ص ٦٠.

وتنطلق النظرية من أن الطبيعة تملك الكمال، فما ناسب الطبيعة بنظامها الشامل اعتبر سوياً وما خالفها أعتبر شاذاً، فالطبيعة الإنسانية بشكلها العام هي التي تحدد السلوك. فالطفل يبدأ الأكل بعد أشهر عدة من ولادته، ولكن حينما نرى أن طفلاً بدأ يأكل في أسبوعه الأول فيعتبر شاذاً عن الحالة الطبيعية، وما ورد في معجزة المسيح عيسى ابن مريم في كلامه وهو في المهد هو أيضاً من الحالات المخالفة للطبيعة البشرية.

النظرية الثالثة: الاتجاه الاجتماعي في تحديد الشذوذ.
وينادي بهذه النظرية علماء الاجتماع، فالمجتمع بما يضم من تقاليد وعادات وأفكار وقيم، فما وافق هذه المفاهيم الاجتماعية التي يصطلح عليها علماء الأنثروبولوجيا بـ (الثقافة) فهو سوي، أي أن السوي السلوك هو الذي يكون متوافقاً معها وهذه النظرية أكثر مرونة في تحديد السلوك الشاذ خارج الإطار الاجتماعي، فمن كان في مجتمع ضمن ثقافته سوياً يعتبر في مجتمع آخر مختلفاً عنه في بعض عناصر الثقافة شاذاً.

النظرية الرابعة: الاتجاه الإحصائي في تحديد الشذوذ.
وتنطلق النظرية من اعتبار المعدل المتوسط هو السوي، إذ إن

متوسط الناس يشكلون الاستواء والاعتدال والتطرف في الخارج عن إطار المعدل المتوسط وهو يعتبر شاذاً. إلاّ أن هذا المذهب الاحصائي يمزج بين النادر والشاذ فالمبدعون والأذكياء يعتبرون من القلة عند ملاحظة متوسط الرسم البياني وان غالب الناس الذين يسعون إلى الملذات هم الأسوياء.



النظرية الخامسة: الإتجاه النفسي الموضوعي في تحديد الشذوذ. وتنطلق هذه النظرية من العمق النفسي في أن السلوك إذا كان مختلفاً عن المألوف نظراً لوجود إضطراب في الوظيفة فهو شاذ، وقد يكون من باب تقريب المثال حينما تمر على فقير محتاج إلى مساعدة، فإن كان تقديم المساعدة

من باب الشفقة والإعانة حيث تحركت نفسك إلى ذلك فإنها تعتبر سوية، وإذا كانت لرياء الناس اعتبرت شاذة لوجود إضطراب نفسي في إنطلاقة السلوك، فالنظرية توسعت أكثر، حيث مزجت بين النظرية الاحصائية في الحكم على الغالبية مع مقارنة الحالة النفسية التي تحركها من دوافع وأغراض. فالمجال الإحصائي يضع أن الغالبية هي السوية والقليلة هي المضطربة الشاذة الشديدة والتي تعتبرخارجة عن نطاق الغالبية، وإضافت هذه النظرية إلى ذلك دافع العمل أيضاً.

فالنظريات تدور بين أن يكون معيار الشذوذ:

١ ـ ذات الإنسان.

٢ ـ المجتمع.

٣ ـ الطبيعة.

٤ ـ المتوسط الاحصائي.

٥ ـ الاضطراب النفسي الداخلي مع إضافة المتوسط الاحصائي.

أما التصور الإسلامي فيضع المخالفة الخارجية للأمر الالهي معصية سواء أكانت بترك الواجب أو بفعل المحرم مع إضافة الدافع الداخلي كما في الرياء الذي يعتبر ممقوتاً عند المشرع الإسلامي بل يعتبره عملاً محرماً. ونرى هنا أيضاً أن

مخالفة بعض العادات الاجتماعية المسلّم فيها اجتماعياً كالنوع المختلف عن المعتاد من اللباس إذا كان مما يجعل الإنسان شاذاً بين الآخرين فإنه محرم ويطلق عليه لباس الشهرة، إلا أنه في نفس الوقت يربط النهج الإسلامي العام بالفطرة **(فطرة الله التي فطر الناس عليها)** بمعنى أنه يضع النهج الإنساني العام في موضع الإتزان وهو مظهر إسلامي أيضاً.

ولنستعرض بعض النصوص الاسلامية لتعضيد النظرية المعروضة فعن أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه[1] «**ما كل ذي قلب بلبيب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ناظر ببصير، فيا عجباً ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرقة على إختلاف حججها في دينها، ألا يقتفون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب، يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات، المعروف عندهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم وتعويلهم في المهمات على آرائهم، كأن كل امرىء منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمة**».

---

(١) خطبة رقم ٨٨ ص ١٢١، ووردت هذه الخطبة أيضاً ببعض الإختلاف في ج ٨ ص ٦٣. نهج البلاغة.

وفي نص آخر (انتفعوا ببيان الله، واتعظوا بمواعظ الله، وإقبلوا نصيحة الله، فإن الله قد أعذر إليكم بالجاهلية، وإتخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الاعمال ومكارهه منها، لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه، فإن رسول الله ﷺ كان يقول إن الجنة حفت بالمكاره والنار حفت بالشهوات، فرحم الله إمرءاً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شيء فزعاً، وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى).

ونرى من خلال هذين النصين ما يلي:

١ ـ أن الخطأ هو في مخالفة الأمر السماوي، ونرى هذا جلياً في قوله: (من خطأ هذه الفرقة على اختلاف حججها في دينها ألا يقتفون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي.....).

٢ ـ أن المعصية مرتبطة بالشهوات، (يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات ونقل عليه السلام قول النبي ﷺ: **حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**).

٣ ـ ليست الغالبية بمعيار الصحة (من خطأ هذه الفرقة على اختلاف حججها في دينها).

٤ ـ ليست القيم الاجتماعية السائدة هي المعيار ونراه جلياً

في قوله: (المعروف عندهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا).

٥ ـ وليست الذاتية (أي التصور الذاتي) هي المعيار في الصحة أيضاً (المعروف ما عرفوا والمنكر ما أنكروا)، وهو استفهام إنكاري، إذ أن الحق هو ما صدر على لسان نبيه أو وصيه وهناك تتحرك الذاتيات في تحقيق الحق ونكران الباطل وكأن كل إنسان يصدر من نفسه.

٦ ـ ليست القدرات الإنسانية دليلاً على كون الإنسان متصفاً بها (ما كل ذي قلب بلبيب...).

إذن التصور الإسلامي من خلال هذين النصين لا يضع المعايير الذاتية مصدراً للسلوك السوي ولا الغالبية مصدراً للسلوك السوي أيضاً والتي تؤيدها مصادر قرآنية أخرى أنها الغالبية مما لا تفقه ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾. والمروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الناس ثلاث عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع....**» إذ

عبّر بالمفرد للعالم والمتعلم، ولكنه عبّر بالجمع عن الهمج كإشارة على الكثرة.

فالدين الإسلامي يضع الأمر الصادر من الله هو المعيار في الصحة والخطأ أي في السوية والشذوذ. ومع ذلك فإن لدينا أمرين نحتاج إلى معالجتهما هما:

١ ـ موضوع إجماع الفرقة أو المشهور بينها أو ما أتفقت عليه آراء الناس، كما روي عن رسول الله ﷺ «**لا تجتمع أمتي على خطأ**» أو عن الأئمة عليهم السلام، أي أن الإجماع عند الشيعة الإمامية لا يعتبر مصدراً من مصادر التشريع إلا إذا كان كاشفاً عن رأي المعصوم فتكون له الحجية، وأما أن الإجماع بنفسه يكن مدركاً للحكم الشرعي مثلاً.

ونقل السيد الصدر (قدس سره) في مبحث حجية الإجماع أن المصادر السنية على حجية الإجماع أن في المشهور (أمتي لا تجتمع على ضلالة)، وقد نقلت بصيغتين ما نقل[1] عن أبي خلف الأعمى قال سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رايتم إختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم**». والثانية ما نقله شريح

---

(١) إبن ماجه، ج٢ ص ١٢٠٣.

عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«ان الله أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً، وأن لا تجتمعوا على ضلالة»**(١)، نستدل بها على حجية الإجماع بكونها شهادة من النبي ﷺ بعصمة مجموع الأمة.

ثم علق السيد الصدر (قدس سره) بقوله:

وقد يناقش في هذا الإستدلال بأن غاية ما يثبت بهذا المضمون حجية المجموع، وهذا أمر صحيح مسلم عندنا أيضاً لوجود المعصوم ضمن المجموع، وهو الإمام عليه السلام الموجود في كل زمان، فليس في الحديث على تقدير صدوره دلالة على أكثر من وجود المعصوم في الأمة(٢).

كما في مرفوعة زرارة قال سألت الباقر عليه السلام، فقلت: جعلت فداك يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان، فبأيهما آخذ، فقال عليه السلام: **«يا زرارة خذ بما أشتهر بين اصحابك ودع الشاذ النادر...»**(٣)

٢ ـ موضوع إرتباط العمل بالنية، (إنما الأعمال بالنيات،

---

(١) أبو داود، ج٤، ص ٩٨.
(٢) مباحث الحجج والأصول العملي ـ السيد الصدر ـ ج ٤ ص ٣٠٧.
(٣) البحار عن (غوالي اللئالي) ج٢ ص٢٤٥ باب علل إختلاف الأخبار.

وإنما لكل إمرىء ما نوى)، وقوله ﷺ: «**لا حب إلا بالتواضع، ولا كرم إلا بالتقوى، ولا عمل إلا بنية**»[١] إذ أن السلوك الخارجي مالم يرتبط بالقلب فلا قيمة له. وتكون مسألة الإجماع خارجة عن إطار التعارض. فهي خارجة أولاً في ما معناه أن أكثر الناس لا يعلمون أو يعقلون، ثم تكون مصدراً للتشريع أو أيضاً خارجة من ناحية أخرى في ان المخالفة للأمر الإلهي هو في القرآن والسنة فقط.

ولنوضح هاتين النقطتين لمساسهما المباشر بالموضوع ثم نناقشهما:

الأول: قد صدر عن الأئمة عليهم السلام في باب الترجيح بين الروايات المتعارضة إذ أن السائل كان يسأل الإمام عن تقديم أحد الراويين على الآخر (... قلت فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منهما على الآخر، قال ينظر إلى ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي به حكمنا المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا، ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإن المجمع عليه لا ريب فيه، وإنما

---

(١) وسائل الشيعة ج١ باب وجوب النية في العبادة ص ٤٦ ـ ٤٩.

الامور ثلاثة: أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر يرد علمه إلى الله ورسوله...).

فنجد النص يشير إلى أن المجمع عليه بين الأصحاب مما لا ريب فيه وقوله ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور.

الثاني: إن النص الوارد في أن الاعمال بالنيات[1] يؤيد النظرية الخامسة المطروحة في كون الاضطراب هو أمر داخلي، كما تذهب إليه تلك النظرية.

ونلاحظ هذا جلياً في صحيحة إسحاق بن عمار ويونس قالا: سألنا أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾، أقوة في الأبدان أم قوة في القلب؟ قال: فيهما جميعاً.

وفي رواية أخرى لزيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أني سمعتك تقول نية المؤمن خير من عمله، فكيف تكون النية خيراً من العمل؟ قال: «لأن العمل ربما كان رياءاً للمخلوقين، والنية خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل»[2].

(١) الكافي ح ١ ص ٦٧.

(٢) وسائل الشيعة ج ١ ص ٥٤.

وهذان الامران (الشهرة والنية) محل مناقشة:

ويرد عليهما بأن الرواية الواردة عن الائمة عليهم السلام هي في باب الترجيح بين الروايتين المتعارضتين الواردتين عن الأئمة، فباب المرجحات يبدأ بالأخذ بالأحدث[١] ثم الأخذ بالصفات ثم الأخذ بالشهرة، ثم الأخذ بموافقة الكتاب. وليست الرواية بصدد وضع معيار الصحة والخطأ مقارنة للمشهور وعدمه، بمعنى آخر أن هناك روايتين أو راويين قد نقلا عن الأئمة عليهم السلام وهما متعارضان فكيف نحل الإشكال وبأيهما يؤخذ وخاصة أن بعض الروايات قد صدرت تقية. فأجابه الإمام عليه السلام بالتسلسل كما رأينا في رفع التعارض وترجيح أحدهما على الآخر. فالعلم الإجمالي بصحة أحدهما قد انحل إلى تقديم أحدهما على الآخر كما نراه في رواية الكافي في الأخذ بالأخير أي ما صدر حديثاً[٢].

إلا أن هناك أمراً آخر وهو باب «لا تجتمع أمتي على خطأ» أو (من فارق الجماعة ومات فميتته جاهلية) إلى غيرها من الروايات الواردة في هذا الباب، والمسألة هنا محل

---

(١) لأصول العامة للفقه المقارن ص ٢٦١ نقلاً عن الخضري أصول الفقه ص ٢٧٩.

(٢) الكافي ج١ ص ٦٧.

إشكال في مدلولاتها فضلاً عن التشكيك في صحتها إلا إذا كان الاجماع المفترض هنا في باب المصدر الرابع من مصادر التشريع التي هي (القرآن والسنة والعقل والاجماع)، فالاجماع المفترض هنا هو كمصدر من مصادر التشريع وهو في طرح حكم شرعي لا في تحديد صحة العمل وخطأه حتى يفترض أن الاجماع مصدر من مصادر تحديد معيار السوية والشذوذ.

وبتوضيح أكثر فإن هناك إختلاف في كيفية اعتبار الاجماع مصدراً للتشريع، فالسنة يعتبرون الإجماع مصدراً من مصادر التشريع في مقابل الكتاب والسنة وأما أصوليو الشيعة فانهم لا يعتبرونه دليلاً مستقلاً، إلا إذا كان كاشفاً عن قول المعصوم[١]، فيكون من مصادر السنة المتواترة لا أن يكون مصدراً مستقلاً.

والأمر الثاني في دخول النيات في صحة العمل فهو من الامور المتفق عليها، وهذا داخل في باب الثواب والعقاب الإلهي ويدخل معه باب الرياء أيضاً أذ يعتبر الرياء أحد أنواع الشرك[٢].

(١) أصول الفقه: المظفر ج ٢ ص ٩٧.

(٢) الكافي ج٢ باب الرياء ص ٢٩٣.

ومع هذا فإن الإسلام في إطروحاته الكثيرة يعامل الناس بظاهرهم دون التركيز على بواطنهم وأعتقد ان هذا متعلق بنحوين من التصرف، فأما الأمر المتعلق بالافعال الخارجية في تقييم الناس فهو يتعامل معها بالظاهر، وأما الثواب والعقاب فهو يتعلق بصحة العمل الذي تعتبر خلوص النية لله جزء منه. إذن المعصية منها ما هو ظاهر، وهذا يمكن معرفته إذ أن الحكم الشرعي المتعلق بالظاهر هو المعيار في كون هذا المكلف يعمل بخلاف الأمر الشرعي أم لا، ومنها ما هو باطن لا يعلمه إلا الله تعالى وهذا يعتمد على إضطراب الشخصية وهنا يمكننا طرح نظرية سادسة[1] بالمزج بين النظرية الخامسة وتحديد المعيار الإسلامي، فنفترض أن

---

١ ـ (قال أبو عبد الله عليه السلام كل رياء شرك، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه لله).

٢ ـ وعنه أيضاً عليه السلام: «**اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فإنه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى الله**».

٣ ـ وعنه عليه السلام: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف آيه ١١٠] قال: «**الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله فما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا أشرك بعبادة ربه...**».

(١) لا يمكن تعميم النظرية لتشمل كل المجتمعات الإنسانية، إنما يمكن تحقيقها بالمجتمعات المسلمة، والمسألة محل نقاش.

الإضطراب هو المعيار لمرض الشخص (شذوذه) بمخالفة الحكم الالهي من أوامر ونواهٍ، وهي النظرية التي يمكن إفتراضها قريبة من النظرية الاسلامية. فكلما كانت النفس الإنسانية طائعة للأمر الإلهي ظاهراً وباطناً وكلما كانت تمثل طلب الشرع الالهي سواء كانت بقبول الناس أم لا فهي سوية ونرى بعض المؤشرات لذلك منها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**لا تزيدني كثرة الناس حولي عزاً، ولا تفرقهم عني ذلاً**». وهو أعلى مستويات الاطمئنان النفسي أمام المصاعب النفسية.

الدوافع نحو الطاعة أو المعصية

وهنا ثلاثة عناصر نتحدث عن كل واحدة منها لتوضيح الفكرة بشكل أكبر وهي:

١ ـ نظريات الدوافع.

٢ ـ الصراع بين الدوافع.

٣ ـ دوافع المعصية والطاعة.

أولاً: نظريات الدوافع:

هناك نظريات عدة في تحليل نظرية الدوافع[١]:

---

(١) الدافع النفسي، الدكتور. مصطفى فهمي ص١٠ ـ ٣٧.

أ ـ نظرية الغرائز

ويتبناها «مكدوجل» وهي تنطلق عن كون الغريزة هي المحرك لسلوك الإنسان وهي عبارة عن استعداد فطري لا يحتاج إلى تعلم يدفع الكائن الحي إلى القيام بسلوك خاص في موقف معين وقد وضع مكدوجل ١٤ غريزة أضاف إليها غرائز أخرى ومن أهمها غريزة المقاتلة، البحث عن الطعام، التملك، الجنس، الوالدية، الراحة، النوم.....

وقد كان «مكدوجل» يعبر عن هذه الغرائز بالغرائز الفطرية. إلاّ أن هذه النظرية لقيت بعض النقد من أهمها:

١ ـ تنافي اتجاه الغرائز الفطرية مع الاتجاه العلمي للبحث وكونها خارجة عن اطار السيطرة والتحكم إذ أن الغريزة هي من الامور الانفعالية.

٢ ـ التشكيك في عدد الغرائز المطروحة بين ١٤ إلى ٣٦ التي تبناها وليم جيمس إلى ١٠٠ غريزة.

٣ ـ نقد علماء الانثروبولوجيا وعلماء الاجتماع إلى الاختلاف في سلوك الإنسان من ثقافة إلى أخرى حيث تنتفي بعض الغرائز عند بعض المجتمعات كغريزة المقاتلة، إذ أن بعض المجتمعات كالهنود الحمر في كندا يتنازلون عن الممتلكات كطريق للفوز بالمعركة،

وكأن تحدي الإنسان لدافع التملك دليل على الفوز.

إلّا أن هذه النقود في الحقيقة لا ترقى إلى مستوى دحض النظرية بكاملها إذ أن الغريزة في كونها خارجة عن اطار البحث والتدقيق العلمي لا ينفي وجودها، بجانب أن الاختلاف في العدد لا ينفي أيضاً وجودها اذ قد يكون هناك اختلاف في بعض الغرائز، ولكن هناك اتفاق على بعضها بلا اشكال كغريزة الاكل والجنس وحب الاستطلاع والتملك بل الشعور بها وجداناً.

ب ـ نظرية مدرسة التحليل النفسي

وزعيم هذه المدرسة هو (فرويد) الذي عرّف الغريزة بأنها تعبير عن قوة نفسية راسخة تصدر من صميم الكائن العضوي وتنبع أصلاً من حاجات البدن بما يجري في الجسم من حاجات فيزيولوجية، إذ إن هذه الحاجات تثير توتراً نفسياً فإما أن تلبى وينخفض التوتر أو تبقى وتتحول الحاجة إلى اللاشعور كحالة من الحالات كالكبت والإحباط.

وطرح فرويد نظريتين للغرائز:

١ ـ نظرية التعارض بين الغرائز الجنسية وغرائز الأنا، فالاشباع الجنسي يعارضه القلق من الإثم والمثل الخلقية والجمالية للأنا، ومن ثم فإن القوى المعارضة

للنزعات الجنسية وهي القوى التي تعمل على ضبط الأنا تسمى (غرائز الأنا) وإذا تفوقت غرائز الأنا على النزعات الجنسية فإنها تقوم بكبت هذه النزعات[١].

٢ ـ نظرية التمييز بين غرائز الحياة وغرائز الموت فالاولى تهدف إلى بقاء الكائن الحي والأخرى على خلافها.

وقد قسم فرويد الجهاز النفسي إلى ثلاثة تقسيمات هي الأنا والهو والأنا الاعلى، فالهو يحتوي على الفطريات والموروثات والغرائز بشكلها العام بما تحمل من رغبات وميول. والأنا تقوم بالتوفيق بين مطالب الهو والواقع فيشبعها في بعض الحالات ويؤجلها إلى حالات أخرى والأنا العليا تمثل الجهاز الذي يمتصه الطفل خلال حياته فيسمح باشباع بعضها وتأجيل الأخرى.

إلا أن فرويد وضع جوهر نظريته تحت فرضيتين اللبيدو وهي المراحل الأولى للطفل «وعقدة أوديب» وهي المرحلة الثانية، إلاّ أن هذه النظرية لقت بعض النقوض أهمها:

١ ـ انطلاقها من كون اللبيدو هو المحرك الأصلي للسلوك وهي في ذاتها غير خاضعة للبحث أو التجريب.

---

(١)

٢ ـ الصراع الذي تعيشه النفسية بين الهو والأنا غير خاضع للملاحظة العلمية.

٣ ـ انطلاقة فرويد في نظريته من دراسة مرضاه من الطبقة الوسطى في مدينة فيينا. مما يعني محدودية الاطار الواقعي لانطلاقة النظرية. إلا أن هذه النقوض لا تخلو من ضعف فعدم امكانية رؤية الصورة الواضحة للبيدو أو اللاشعور أو حالة الصراع، لا ينفي حقيقة ما تلاقيه النفس وجداناً أو ما يمكن إثباته من خلال العناصر الخارجية المفيدة إلى تلك الحالة، ومع ذلك فإن ترتيبه بفترة تكّون اللبيدو أو عقدة اوديب خالية من الربط المنطقي.

ج ــ النظرية السلوكية.

وهي في حقيقتها ردود فعل لمدرسة التحليل النفسي التي طرحها فرويد وقد خرّج هذه النظرية واطسون *(Watson)* وانطلقت المدرسة السلوكية من دراسة المثير والاستجابة وتكّون العادة، فيرى واطسون ان السلوك والشعور متناقضان وفتح ثورنديك باب دراسة سلوك الحيوان للتعرف على بعض سلوك الإنسان كوجود الحاجز بين الحيوان والطعام ومحاولة الحيوان للوصول إلى الاكل بطرق

عدة، ولكن هذه المحاولات تقل في المحاولات التالية نظراً لتكرر العادة.

وقد تطورت المدرسة السلوكية على يد واطسون الذي استفاد من ابحاث بافلوف وبختريف في الفعل المنعكس الشرطي، فالخوف والغضب والحب هي نماذج لانفعالات اصلية ولكل واحد منها مثيره المرتبط به أملاً، ولكن حينما تقترن تلك المثيرات بمثيرات أخرى شرطية فإن المثير الشرطي يمكن ان يحل محل المثير الاصلي.

وقد طوّر (كلارك هل) النظرية السلوكية بشكل كبير واعتمد على نظريات بافلوف في الاقتران الشرطي واعتبر المنعكس الشرطي هو الوحدة السلوكية البسيطة[١].

والنظرية السلوكية متأثرة أساساً بنظرية نيوتن مما أدى إلى تسميتها بالنظرية الذرية *(Atomic Theory)* وهي قريبة في تحليل السلوك بالشكل الميكانيكي بالفعل ورد الفعل، فلكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومختلف معه في الاتجاه، فهي في السلوكية مرتبطة بالمثيرات الخارجية والداخلية والاستجابات الداخلية والخارجية.

---

(١) الدوافع النفسية. د. مصطفى فهمي ص ٢٣.

وقد انتُقِدتْ النظرية السلوكية من نفس منطلق المقارنة بالنظرية الميكانيكية (نيوتن) وهي تنطلق في تحليل السلوك إلى المثيرات والاستجابات دون الاهتمام بجانب الادراك في تفسيرالسلوك[١]. وتنقل ما نقله د. مصطفى فهمي عن الدكتور نجيب اسكندر في نقد النظرية السلوكية.

ويتضح من كل ما سبق أن الاتجاه التحليلي الجزئي الميكانيكي عند (هل) يظهر بوضوح في اصراره على التمسك بمبدأ التدعيم باعتباره الأساس الوحيد للتعلم، وهو مبدأ يؤدي إلى البحث عن الدقائق المادية للظاهرة وإلى اغفال المجال الكلي الذي تحدث فيه[٢].

إنما يؤخذ على النظرية كونها ميكانيكية في تصور المثير والاستجابة أو قربها من العناصر المادية في تصور الظاهر هما قاصران في رد النظرية، فالنظرية إنما تُرد إذا كانت قاصرة في ربط المثيرات بالاستجابات، بحيث تعتبر غير مترابطة في تحليل العناصر المختلفة من مثير واستجابة وكيان نفسي داخلي، ولذا فإن نقدها بعدم اهتمامها بجانب الادراك قد يعد من الانتقادات المثيرة.

(١) المصدر السابق ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤.

وهناك نظريتان اخريان وهما نظرية (جوردن البورت) في تفسير السلوك وهي نظرية الاستقلال الوظيفي وتنطلق من أن الميول والاتجاهات الاولية (الفطرية) تكون العنصر الاساسي للسلوك الأول وهو يمهد إلى حاجات وميول أخرى تكون السلوك الثاني، وهكذا فالإنسان يندر عنده السلوك كلما أصبح في سلوك معين. وقد يؤخذ عليها عدم ثبات سلوك الإنسان كونه في تحرك مستمر ويصعب رصده بالاضافة إلى أن الملاحظ في الخارج هو ثبات كثير من السلوكيات عند الناس كصفات الكرم والشجاعة والحلم والتي تعتبر ثابتة، إلا أنه تتغير بعض التصرفات الخارجية المرتبطة بها، فقد ترى فقيراً فتعطيه كذا ريال وتراه في يوم آخر وتعطية أكثر أو أقل فهذا لا يرتبط بحالة الكرم وإنما يتعلق بشكل كبير بالحالة النفسية في تقييم الشخص المقابل.

أما النظرية الأخرى فتعتمد على العلاقة بين السلوك والمجال النفسي وتعرف بنظرية ديناميكية السلوك، ومحور النظرية هو اللا شعور وما يسببه من حالة توتر تحرك الفرد نحو الهدف ليضاعف مجهوده أو إبدال الغرض الأصلي أو الشعور بالاحباط، وينتج عن ذلك حالات الاعتداء أو النكوص أو الكبت أو الاسقاط أو التفكير الاجتراري أو التقمص.

فالمجال النفسي للإنسان يكون كشبكة من الاتجاهات والمواقف تجعل حاجات الفرد ومطالبه عبارة عن قوى واضحة بانماط مختلفة من السلوك.

وخلاصة النظرية بشكل أدق هي العلاقة بين القوة الدافعة والغاية التي تتجه إليها القوة وهو ما يعبر عنه بديناميكية السلوك(١). ويبدو أن هذه النظرية على قوة طرحها ولكنها ليست متداولة بشكل كبير وقد يكون سبب ذلك هو عدم وجود دراسات واسعة وتطبيقية حول هذه النظرية مما يجعلها محدودة بالاطار النظري أكثر منه بالإطار العملي وربما يكون هناك سبب آخر وهو عدم ظهور مستوى عالٍ من المتحمسين لها لترويجها أكثر.

تصيد النظرية الاسلامية:

بالرغم من صعوبة طرح نظرية تعكس الوجهة الاسلامية حول الدوافع الإنسانية إلا أننا سنحاول التعرف على ما هو مطروح على الساحة الاسلامية على أيدي المتخصصين ومن ثم التعليق عليها.

النظرية الأولى: النظرية التي طرحها الدكتور محمد

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

البستاني[١]: وهي أن النشاط الأولي ينطلق من مبدأ البحث عن اللذة واجتناب الألم. وطرفا التجاذب هما الشهوة والعقل أو الذات والموضوع. وتمثل الشهوة الاشباع المطلق والآخر الاشباع المقّيد بالضوابط المقررة. ويوازن هذا الأصل النفسي أصل عقلي قائم على قدرة التمييز بين نمطي الاشباع المذكورين وهما الهام الفجور والتقوى وهو مجسد بثنائية طاقة متوازنة لاهيمنة لأحدهما على الآخر إلا من خلال الطريقة التي يختارها الكائن ألا وهي في بحثه عن الإشباع.

وقد انطلق الدكتور البستاني في نظريته من مصدرين اسلاميين أولهما قول الإمام علي عليه السلام: «**إن الله ركبّ في الملائكة عقلاً بلا شهوة. وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌ من البهائم**»[٢].

فهذه الكلمة تعكس التكوينية الفطرية للطبيعة البشرية. والمصدر الآخر هو قوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ أي أن الهام الفجور والتقوى يعني

(١) علم النفس الإسلامي ج ١ ص ٧ ـ ٢٦. وتعتبر نظرية الدكتور البستاني من أقوى النظريات العلمية في هذا الاطار.

(٢) الوسائل: جهاد النفس ب ٩ ح ٢ الرواية صحيحة.

الادراك لمبادئ الشهوة والعقل. وبذلك تجتمع ثنائية التركيبة النفسية البشرية وهي عنصر الادراك والوجدان بصياغة اللذة والألم.

إلا أن النظرية تعتريها بعض المآخذ وهي كالآتي:

١ ـ إن قول الإمام علي عليه السلام المذكور هو في تحليل التركيبة النفسية من الشهوة والعقل، فالشهوة تمثل الحاجة الحيوانية من شهوة البطن والفرج، والعقل يمثل قمة الاتزان التكاملي للنفس. وخاصة بقرينة المقابلة الملاحظ في الرواية بين البهائم وهي الاشباع دون مراعاة للوسيلة والملائكة، وهي عدم وجود الحاجة المادية أصلاً ولكن هناك القوة العقلية والتي تسعى إلى الموازنة كحالة أولى وإلى الكمال التكويني عبر طاعة وعبادة الله كحالة ثانية.

فالإنسان بما يملك من هاتين القوتين الشهوة والعقل، يتحرك الكيان الإنساني إلى اشباع حاجاته الحيوانية وتمثل الشهوة المحرك لذلك، اما العقل فهو العامل الموازن بين تلك الحاجات وبين العوائق الموجودة أمامها ومقدار قدرة الكبح، فبواسطة سلطة العقل تتبلور شخصية الإنسان وتظهر على نحو سلوك في شخصيته. وهذان الأمران لا علاقة لهما

مباشرة باللذة والألم حتى يمكننا تصيد النظرية الاسلامية منها.

فالشهوة بما تمثله من حب لإشباع البطن والفرج، فهما أيضاً يحتاجان إلى محرك، فقد يكون المحرك هو الجوع وقد يكون المحرك هو العادة، فالمعتاد على الغذاء في وقت محدد فإنه ياكل حتى لو لم يكن محتاجاً إلى الأكل ولذا فإن المأثور عن النبي ﷺ: نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع، هو مما يشير إلى أن الأكل ينبغي أن يكون لحاجة، ومفهومه أننا لا نريد ان نتعود على الأكل حتى مع عدم الجوع وإذا أكلنا لا نشبع، أي أننا لا نتعود على الأكل حتى التخمة والمفهوم من الحديث النبوي أن الإنسان قد يتعود على تلك الحالة دون أن يكون مرتبطاً بالحاجة بذاتها. وملخص هذه النقطة أن المصدر الشرعي للنظرية غريب عن النظرية نفسها.

٢ ـ ان اللذة والألم هما من الاحوال الانفعالية وليسا من الأحوال الفاعلية حتى يفترض دافعيتهما للنشاط الإنساني. بمعنى آخر أن اللذة هي أدراك الملائم وهو الاحساس بأن هذا الفعل يُنشيء حالة من الشعور باللذة (السعادة) وهذا الفعل يُنشيء حالة من الشعور بالألم

(الشقاء) ولو افترض أن الإنسان يبتعد عن الالم لما يسببه من توتر نفسي يحتاج معه إلى رفعه بواسطة عمل ما، ولكن هذا الانفعال بسبب حالة الالم الفعلية والتي يدفع جهاز العقل إلى رفعه كلياً أو رفع بعضه أو تحمله لوجود غاية أفضل، فإن مواجهة شخص أعتدى عليك تضعك أمام إنفعالات عدة فإما أن ترده بكامل قدراتك وهو رفع حالة التوتر مطلقاً أو رفع بعضه بالثأر لنفسك ببعض القول والنصح أو تركه مطلقاً وتحمل تلك الآلام لأمر أفضل وهو المحافظة على مهابة شخصك أو أي أمر آخر تراه حسب إنفعالاتك الذاتية من دوافع شهوية (عاطفية) أو عقلية أو قد يكون أمر نفسي آخر وهو الخوف من اعتداءاته اللاحقة.

٣ ـ إن هناك نظريتين تفندان نظريتي اللذة والألم المطلق والذي هو المحرك للسلوك وهما نظرية (سرحي) و(ندت) و(ريبو) والأول ذهب إلى حيادية اللذة والألم أي انه توجد في النفس حالة لا لذة ولا ألم فيها[(١)]،

---

(١) فالالم حالة لا شعورية تكشف لنا عن النزاع القائم بين الجد والقوى الخارجية وتدل على عدم التكيف ومتى ما ينشا عن ذلك من إتلاف للطاقة واللذة تدل على اتصال أفعال الجد بالقوى الخارجية ومؤلفاته أياها، وعلى ما ينشا من ذلك زيادة في الطاقة ونمو الفاعلية. أما حال=

والثاني بواسطة الرسم البياني، فما كان فوق الخط إيجابي أي لذة وما كان تحته سلبي أي ألم وما وقع على الخط فليس لذة ولا ألماً. والثالث وهو ريبو فإنه ضرب شاهداً على الحالة الحيادية عند ما يدخل الإنسان إلى البيت ويرى أثاث البيت على حالته السابقة فإنها لا تولد عنده لذة ولا ألماً. وأما النظرية الثانية وهي نظرية تحول اللذة إلى الألم والعكس. وقد أوضح أفلاطون في كتابه (الفدون) حالة الإنسان في التعاقب بين اللذة والألم وكأن الإنسان لا يصل إلى اللذة المطلقة أو الألم المطلق، ففي كل حالة ألم هناك نسبة من اللذة وبالعكس بل قد يكون هناك ألمٌ نفسي ولكن معه لذة جسمية وبالعكس.

٤ ـ إن منطوق الآية في معنى ألهمها هو نفس المعنى المتصور في الرواية إذ معنى الالهام هو استعدادها لقبول الفجور والتقوى على حد سواء بمعنى آخر أن الإنسان يستطيع أن يكون تقياً وأن يكون فاجراً. نعم قد

= الخلو من اللذة والألم فهي حال متوسطة تدل على التكيف التام بين الجسد والشروط الخارجية من دون أن يكون هناك زيادة أو نقصان في الفاعلية. (علم النفس. د. جميل صليبا ص ١٩٩ نقلاً عن كتاب سيكولوجيا العواطف لريبو ص ٧٦).

تكون على معنى أن النفس تعرف بالطريق الفطري المعاني المؤدية إلى التقوى والمعاني المؤدية إلى الفجوز وهو معنى الادراك الذي ذكره الدكتور إلا أنه يمكن التوصل إليه بافتراض عدم معقولية الالهام دون الادراك. وهو مما لا برهان عليه، إذ أن الحيوان يتحرك بطريق الالهام كنسج العنكبوت لخيوطه دون أن يدرك غايتها أو سبيلها. فالالهام يمكن فصله عن الادراك ومع افتراض ارتباط الالهام بالادراك. فالنظرية غير تامة لإنثلام إحدى عنصريها السابقين.

النظرية الثانية وهي التي طرحها الدكتور نبيل محمد توفيق السمالوطي[1]. وقد قسم الدوافع إلى نوعين:

١ ـ الدوافع الإنسانية المادية الشهوية والروحية السامية.

٢ ـ الدوافع الفطرية وهي الإمكانات والإستعدادات.

ثم هناك دوافع أخرى وهي على قسمين أيضاً: دوافع لا شعورية وهي التي لا يشعر بها الإنسان وهي تفيد تشخيص الكثير من حالات عدم الإستواء النفسي كالقلق والإكتئاب، ودوافع شعورية وهي دوافع تنبه الإنسان إليها. ثم قسمها إلى

---

(١) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ص ٨٦ ـ ١١٣.

دوافع لازمة لاستمرار الإنسان وهي دوافع الأكل والجنس والملكية والوالدية مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾ وخلق الدوافع المنظمة لممارستها كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ وقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

إلا أن الدكتور في الحقيقة لم يوفق إلى طرح نظرية اسلامية في الدوافع وذلك لأمرين:

١ ـ إن تقسيمه للشعورية واللاشعورية هو تقسيم وإن كانت بعض مصادر اسلامية تشير إلى ذلك إلا انها ليست المصادر التي أعتمد عليها في هذا الطرح حتى يمكن نسب النظرية إلى الوجهة الإسلامية. وما ذكره من تقسيمات هو من باب الدراسة العلمية البحتة وهي نظرية فرويد في التحليل النفسي، بل قال: «**ويجب أن نشير هنا إلى أن قبول فكرة الدوافع الشعورية لا يعني قبول نظرية التحليل النفسي بأكملها**».

٢ ـ إن الأمر بالاعتدال في الأكل والشرب لا علاقة له بالدوافع، إذ أن هذه الأوامر هي لتعديل سلوك

الممارسة الإنسانية حين المبالغة في الأكل والشرب وهو الأمر بالاتزان وبعدم الإسراف، وإلا فإن الشاهد الثاني في الجنس فقد ذكرت الآية «أنى شئتم» سواء كانت أنّى على نحو الظرف المكاني أو الزماني فقد أطلقت الاستخدام الجنسي دون قيود على الزوجة.

النظرية الثالثة:

وهي نظرية دافع الكمال بمعنى أن الإنسان يملك الدوافع الاساسية للمحافظة على كيانه الحيواني أي جسمه في البقاء، بالأكل والشرب وكيانه الحيواني النوعي في الاستمرار بالجنس وهو البقاء الايجابي أو بواسطة المحافظة عليه بالقدرة على الدفاع عنه بالعدوان وهو البقاء بطريقة السلب، ثم يأتي جهاز القيم الاجتماعية ويقف خطاً معيقاً في بعض الاحيان أو موافقاً في أحيان أخرى، وللموازنة بين تلك الدوافع بالتأثير على هذه أو تلك تقف القوة العقلية. والإنسان بين كل تلك الدوافع والمعوقات يسعى إلى كماله.

أصول هذه النظرية في المصادر الاسلامية:

١ ـ الحديث السابق الذكر المروي عن الإمام علي عليه السلام: إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة... البهائم شهوة بلا عقل... بني آدم كليهما... فإن هذا الحديث يشير إلى

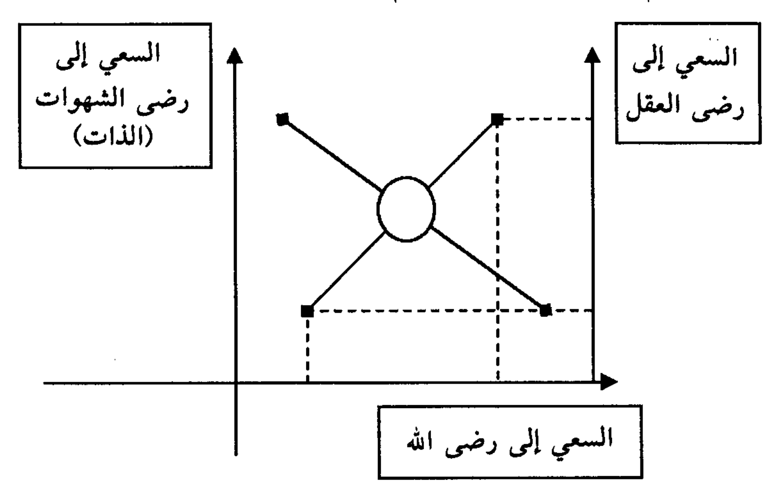
الطبيعة الموجودة في الحيوان وهي شهوة البطن والجنس والمقاتلة (المغالبة) والأخرى العقل وهي بمقابلتها بالملائكة هو السعي إلى تكاملها برضى الله ولذا نجد الملائكة لا تتردد في قبول أمر الله سبحانه بمجرد الأمر دون أن تجابه الأمر بنقد أو عصيان اما الإنسان فإنه يتحرك بين هذه القوى المؤثرة فتسحبه إلى الأرض بالدوافع الشهوانية أو ترفعه إلى الأعلى بالدوافع العقلية (الكمالية).

فكلما سعى الإنسان إلى رضى ربه فإن سعيه إلى رضى شهواته يقل. ونلاحظ أن هناك نقطة التقاء بين السعي العقلي والشهواني والالهي وهي نقطة الوسط وهو موازنة إرضاء هذه القوى المؤثرة الثلاث.

أ ـ نلاحظ الاشارة القرآنية إلى الهدف من عبادة الاوثان هو القرب من الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي أن عبادة الوثن من حجارة وأصنام كانت أحدى طرق الوصول إلى التقرب من الله وهذه أُولى خطوات السعي إلى الكمال، وإن كان السبيل إليها خاطئاً.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ وهذه إشارة واضحة إلى أن كيان

الإنسان يملك القدرة الاساسية لعبادة الله سبحانه وانحصار هدف الخالقية في العبادة مما يعني أن استعداد الإنسان إلى الكمال هو أقوى منه إلى غيره. وهنا نرى أن الإنسان المتكامل هو العابد لربه على أكمل وجه راجياً رضاه، ونرى أن الأشخاص المتفانين في رضى الله هم أقرب إلى الكمال ممن هم أقل تفانياً من تلكم الآخرين.



ج ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ فانت مهما سعيت وعملت إلا أنك في النهاية متجه إلى الله سبحانه وهذا يقتضي ان يكون توجه الإنسان هو لله سبحانه.

د ـ الفطرة الالهية على توحيد الله، فعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله عز وجل فطرة الله التي فطر الناس عليها؟ قال: هي الإسلام فطرهم حيث أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: ألست بربكم، وفيه المؤمن والكافر[1] فنلاحظ أن أساس الفطرة الإنسانية هي على توحيد الله أي على أعلى مستويات الخلوص النفسي من أي تعلق بشيء سوى الله.

ونظراً لارتباط كل النظريات الإسلامية بثلاثة مفاهيم، وهي العقل، الشهوة والنفس، فلنوضح هذه المفاهيم:

١ العقل:

العقل هو القدرة على تمييز الحق من الباطل. ذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار[2] ستة معانٍ للعقل نذكرها ملخصة:

١ ـ قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما. فهو مناط التكليف، الثواب والعقاب.

---

(١) أصول الكافي ج٢ ص ١٢ باب فطرة الخلق على التوحيد.

(٢) البحار ج ١ ص ٣٥٥.

٢ ـ ملكة في النفس تدعو إلى اختيار الخير والنفع واجتناب الشرور والمضار.

٣ ـ القوة المنظِّمة لحياة الناس فإن وافقت الشرع سُميت بعقل المعاش.

٤ ـ مراتب استعداد النفس لتحصيل النظريات وهي العقل الهيولاني والعقل بالمملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد.

٥ ـ النفس الإنسانية المتميزة عن البهائم.

٦ ـ الجوهر المجرد غير المتعلق بالمادة.

فالعقل إذن هو القدرة على إدراك الخير والشر والتمييز بينهما ودفع الإنسان إلى الأعلى، ونلاحظ في كيفية خلق العقل عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا في من أحب، أما أني أياك آمر وإياك أنهي وإياك أعاقب وإياك أثيب**»[1].

ونجد ذلك جلياً في حديث طويل (نقتطف بعضاً منه)

---

(١) أصول الكافي ج١ ص ١٠ باب كتاب العقل والجهل.

عن[1] سماعة بن مهران قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **«اعرفوا العقل وجنده واعرفو الجهل وجنده تهتدوا......... الخير وهو وزير العقل وضده الشر وهو وزير الجهل، والايمان وضده الكفر، والعلم وضده الجهل... والتواضع وضده الكبر... فلا تجتمع هذه الخصال كلها من اجناد العقل إلا في نبي أو وصي نبي أو مؤمن قد أمتحن الله قلبه للايمان أما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود وحتى يستكمل وإنما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده»**.

فكلما قويت القوة العاقلة وأمسكت بزمام النفس فإن الإنسان يقرب من الكمال، إلا أنه كما ترى من خلال الرواية لا يخلو الإنسان من مزيج بين تلك العناصر في شخصيته تظهر في النهاية في الفئة الغالبة، فقد تظهر بعض الصفات الحميدة التي تبرز على صفات سيئة أخرى.

(١) أصول الكافي ج١ ص ٢٠ درس ١٤ من كتاب العقل والجهل والحديث طويل الا انه ضعيف بعلي بن حديد لفطحيته. معجم رجال الحديث ج١١ص٢٠ + البحار ج١ ص ٣٨٨ ح ٣٠ نقلاً عن تحف العقول في وصية الإمام موسى الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم.

يقول السيد الإمام (قدس سره): إنها الفطرة التي تعشق الكمال. فأنت إذا تجولت في جميع الأدوار التي مر بها الإنسان واستنطقت كل فرد من الافراد وكل طائفة من الطوائف وكل ملة من الملل تجد هذا العيش والحب قد جبل في طينة فتجد قلبه متوجهاً نحو الكمال[1].

فالكيان الإنساني يدفعه واقع الكمال العقلي بشكل قوي وإلا فإن بعض الأشخاص يرى كماله في هذه السلطة أو تلك اللذة أو تلك المعيشة المعينة، وذلك لتأثر الاستعداد النفسي لديه على الممارسة المستمرة، مما يجعل تلك الدوافع سهلة الإجتماع ولا يمكننا أن ننطلق أكثر في هذا المجال فإن بعض حالات الإنسان يشعر فيها بالحاجة إلى عمل أكمل ولكنه يكتفي بما هو أقل نظراً لقدراته واستعداداته النفسية التي تعودت على حالة رخاء أو حالة سكون أو عدم القدرة على المقاومة تجاه تلك المغريات التي يواجهها تجاه نفسه: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وهو أبلغ وصف إلى عدم القدرة على مقاومة الحالة التي يواجهها الإنسان.

ونرى المشرع الإسلامي يضع ملامح الخصال المتعلقة بالقوة العقلية.

---

(١) الأربعين حديث ـ ب ١١: الفطرة ـ ص ١٧٧.

١ ـ صحيحة[١] إبن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يقسم بين العباد أقل من خمس: اليقين والقناعة والصبر والشكر والذي يكمل له هذا كله العقل.

وهي تشير إلى أن مصادر القوى الإساسية في كيان الإنسان أربع والمنظم لها العقل، ولا يوجد عند أي إنسان أقل منها وان كانت قد تشتد من شخص إلى آخر بالتمرس والاستمرار على التعامل معها بما يقوم به العقل من تأثير وتنظيم بينها.

٢ ـ رواية[٢] إبن نباته عن علي عليه السلام قال: هبط جبرائيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاثة فاختر واحدة ودع إثنتين فقال له آدم عليه السلام: وما الثلاث يا جبريل؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال

---

(١) البحار ج ١ ح ٩ ص ٣٤٢.

(٢) البحار ج ١ ح ٨ ص ٤٢: ونجد في الرواية أن في سلسلتها المفضل بن صالح أبو جميلة والمتهم بالغلو ولم يوثقه النجاشي وذهب السيد الخوئي إلى ذلك أيضاً إلا أنه وقع في إسناد كامل الزارات التي يوثق سلسلتها الكثير من أعلام الطائفة معجم رجال الحديث (الخوئي) ج ١٨ ص ٢٨٦. إلاّ أن صحيحة إسحاق بن عمار قال قال أبو عبد الله عليه السلام: من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة. البحار ج١ ح ٢٠ ص ٣٤٧.

آدم فإني قد أخترت العقل حيثما كان، فقال جبرائيل للحياء والدين انصرفا ودعاه، فقالا له: يا جبرائيل إننا أمرنا أن نكون مع العقل قال: فشأنكما وعرج. ونلاحظ هنا ان الحياء والدين متلازمان مع العقل ونضيف هاتين الخصلتين إلى الخصال السابقة فتكون الخصال المرتبطة بالعقل بالاضافة إلى الأربع السابقة هما خصلتا الحياء والدين.

(٢) الشهوات:

التعريف الإسلامي للشهوة هو قبول الأمور الروحية العقلية التي تسعى إلى العلو، فكل ذلك يدخل تحت مسمّى الشهوة، فالشهوة هي القوة الطبيعية الدافعة للكيان الحيواني للنمو والبقاء، ونذكر الروايات المتعلقة بذلك على نحو العموم:

١ ـ الشهوات هي الميل إلى النساء والمال والحياة. ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾[١]. وهنا نلاحظ أن الشهوات المذكورة هي أمور طبيعية يحتاجها الإنسان في استمرار حياته بعلاقته بالطرف الآخر أي بين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

الرجال والنساء والمال والمعبر عنها بالذهب والفضة وإن كان يمكن حملها على مستوى أعلى من الشغف بالمال والذي هو تعبير عن حالة الطمع في النفس. فهذه الامور هي أدوات الدوافع في الإنسان بشكل عام.

٢ ـ الحديث العلوي السابق (أن الله ركبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما...)

فنلاحظ بالمقابلة بين الملائكة وهو العقل وبين البهائم وهو الشهوة أن عنوان الشهوة هنا هو كل ما يتعلق بحياة الحيوان الحياتية في تقويم جسمه واستمرار نوعه. ونلاحظ الحياة الحيوانية من خلال الاستقراء يتركز فيها الأكل والشرب وكل ما هو قوام الجسد كالجنس الذي هو لبقاء النوع والعدوان الذي هو للمدافعة عن الذات، وهذه الأمور هي الأصول بالنسبة إلى غيرها أيضاً، ويمكن أن نضع الغرائز التي أشارت إليها نظرية الغرائز كمجموعة لأنواع الشهوات الموجودة في الإنسان. ويمكن أن يتبنى فيها نظرية الغرائز التي ذكرها «مكدوجل» للتعرف على دوافع الشهوة من قبل المشرع الإسلامي فهي على أقل تقدير أقرب في حصر النظرية في الاطار الإسلامي في البحث.

ويمكننا إعادة تقسيم الشهوات إلى أقسام عدة أي أن شهوة كل شيء بما يناسبها ومصدر تحريكها هو النفس التي تنظم لهذه الشهوات بما لها من قوى لتحريك البدن:

١ ـ **شهوات جسمية:** وهي الشهوات المغذية للجسم من أكل وشرب وملبس وجنس.

٢ ـ **شهوات نفسية:** وهي الشهوات التي يتركز فيها حب الذات والمال والهوى.

٣ ـ **شهوات إجتماعية:** وهي الشهوات التي يتركز فيها حب العلو والسيطرة.

٤ ـ **شهوات روحية:** وهي شهوة حب البقاء.

٥ ـ **شهوات قلبية:** وهي العواطف.

(٣) النفس وقواها:

لاحظنا من خلال النصوص السابقة أن الإسلام يضع صفة الكمال في غلبة القوة العقلية وهي أعلى المراتب وتتكامل تلك في الملائكة، وأن صفة البهيمية هي في الشهوات، وما نحتاجه الآن هو وضع إطار تحليلي لما يراه فلاسفة الإسلام حول قوى النفس وصفاتها. ولنبدأ بتقسيمات الملا صدرا في كتابه الأسفار.

تنقسم النفس إلى أجزاء ثلاثة أي نفوس ثلاثة[١]:

١ ـ **نفس نباتية** وموضعها الكبد.

٢ ـ **نفس حيوانية** وموضعها القلب وهي تخدم الإنسانية والحيوانية النباتية ولها ثلاث قوى: الغاذية والمنمية والمولدة. والحيوانية لها قوتان محركة ومدركة، فالمحركة إما باعثه وهي الباعثة بالشوق ولها شعبتان شهوية وغضبية والأخرى المدركة خارجية وداخلية.

٣ ـ **نفس إنسانية** وسلطانها الدماغ.

وتنقسم إلى عاملة وعالمة، فالعاملة هي التي بها تدبير البدن ولها القدرة على السيطرة على سائر القوى الحيوانية. والعالمة وهي القوة النظرية التي تستفيد من العلوم والحقائق.

ثم يقول الملا صدرا إن الإنسان يبتدئ وجوده أولاً من أدنى المنازل ويرتفع قليلاً إلى درجة العقل والمعقول كما أشار سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ إلى قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾.

إذن النفس الإنسانية هي التي يتركز فيها المؤثر العقلي

(١) الأسفار ج ٨ ص ١٢٩ ـ ١٣٣ (بتصرف) ملا صدرا الشيرازي.

وهي بقواها تؤثر في تدبير البدن بتحريك قواه والسيطرة على القوة الحيوانية التي تتركز فيها القوة الشهوية والقوة الغضبية.

بجانب أن النفس الحيوانية فيها قدرة الادراك أيضاً وإن كان هذا الادراك ـ وان لوحظ في الحيوان ـ لا يخرج عن كونه إدراكاً بسيطاً.

ونلاحظ أن النفس الإنسانية تبدأ من أدنى منازل الحيوانية وهي الشهوية والغضبية وتؤثر النفس الإنسانية عبر العقل في تقوية القدرة الادراكية والعلمية لتزدد بذلك السيطرة على القوة الحيوانية وبمقدار ما يسيطر عليها فإنه يرتفع إلى المراتب العُلوية من الإنسانية.

وهو نفس تقسيم الشيخ إبن سينا كما شرحه الخواجه نصير الدين الطوسي[1] إلا أننا نقتطف هنا بعضاً من تفصيلاته في النفس الحيوانية والناطقة كما يسميها.

أما النفس النباتية فهي تماماً كما فصلها الملا صدراً. وأما النفس الحيوانية فلها قوتان: قوة إدراك وقوة تحريك، إرادي أو تسخيري (غير إرادي).

أما قوة الإدراك فمنها ما يدرك ظاهر البدن ومنها ما

---

(١) تلخيص المحصّل ص ٤٩١ ـ ٥٠٦.

يدرك باطن البدن والأولى تسمى بالحواس وهي خمس: الإبصار والسمع والشم والذوق واللمس، والثانية الباطنة فخمس أيضاً: الحس المشترك وهو صورة المحسوسات الظاهرة والثاني الخيال وهو خزانة تلك الصور والثالثة المتعرّفة، فهي بإعتبار تصرفها في المحسوسات تسمى متخيلة وباعتبار تصرفها في المعقولات مفكرة والرابعة الوهم وهو إدراك المعاني الجزئية كالصداقة والعداوة والأنس والنفرة وهي تتواجد في الإنسان والحيوان أيضاً والخامسة الحافظة وهي مركّبة من فعلين مشاهدة وحفظ.

أما قوة التحريك الارادي فلها قوتان وآلات، والقوتان هما الشهوة وهي الباعثة على جذب الملائم والثانية الغضب وهي الباعثة إلى دفع غير الملائم.

أما النفس الناطقة فهي مجردة عن الأجسام مفارقة للمواد مرتبطة بالأبدان تفيض عليها صورة حيوانية منطبعة في البدن فيها وتعبر عنها الأفعال النباتية والحيوانية بالآلات وتنقسم إلى عقل نظري وعملي.

والنظري هو تعقلها لنفسها فيما يجب أن تتعقل ولها مراتب:

الأولى: الاستعداد وهو يشمل الطفل أيضاً ويسمى عقلاً هيولانياً.

الثانية: المكتسبة وتشمل العلوم النظرية بأسرها وتسمى عقلاً مستفاداً.

الثالثة: المستفاد وهو إستحضار تلك العلوم ومشاهدتها ويسمى عقلاً مستفاداً.

الرابعة: خزانة المعقولات وهو العقل الفعال.

أما العقل العملي فهو الذي يستنبط للنفس آراء جزئية من آراء كلية وهي قضايا أولية أو مشهورة أو تجريبية.

والملاحظ أن علماء الأخلاق في تقسيماتهم للنفس يقتربون من التقسيم الفلسفي، فالشيخ النراقي في كتابه جامع السعادات، في تعريف النفس وقواها يقول[1] ـ ملخصاً:

١ ـ إن النفس مجردة في الذات دون الفعل لافتقادها إلى الجسم والآلة وهي جوهر ملكوتي تستخدم البدن في حاجاتها فتسمى روحاً لتوقف حياة البدن عليها، وعقلاً لإدراكه المعقولات وقلباً لتقلبه في الخواطر.

٢ ـ إن قوى النفس أربع:

الأولى: عقلية ملكية وشأنها إدراك حقائق الأمور والتمييز بين الخير والشر.

---

(١) جامع السعادات ج ١ ص ٣٧.

الثانية: الغضبية وشأنها صدور أفعال السباع من الغضب والبغضاء والتوثب على الناس بالأذى.

الثالثة: الشهوية البهمية وهي التي تصدر عنها أفعال البهائم من عبودية الفرج والبطن والحرص على الجماع والأكل.

الرابعة: الوهمية الشيطانية: وشأنها إستنباط وجوه المكر والحيل والتوصل إلى الأغراض بالتلبس والخداع.

ثم يضيف إلى أن الغضبية يستعملها العقل لكسر قوة الشهوة الشيطانية. وما ورد في القرآن الكريم حول النفس المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء، فالأولى التي تكون تحت سيطرة الأوامر والنواهي فهي منقادة لهم، أما إذا كان بينها تدافُع فإنها تكون لوامة وأما إذا صارت مغلوبة بالقوى الشيطانية سميت أمارة بالسوء.

إذن من هذه التقسيمات الفلسفية والأخلاقية للنفس نلاحظ أن الفلاسفة الاسلاميين لم يخرجوا عن إطار الفلسفة اليونانية في تقسيم النفس، إلاّ أن الفلاسفة والأخلاقيين يختلفون في القوة العاقلة، فالفلاسفة يتحدثون عنها كقوة عقلية نظرية أو عملية والاخلاقيون كقوة مؤثرة في توجيه طاقات الإنسان الأخرى من بهيمية وسبعية.

الصراع بين دافعي العقل (الكمال) والشهوة (البهمية):

فالنفس الإنسانية تحمل قوتين وهما القوة العقلية والشهوية. كما يشير إليها أمير المؤمنين عليه السلام(١).

إي أن الإنسان يحمل القوة العقلية وهي التي تكون خالصة في الملائكة لعدم وجود الدوافع الشهوية المتعلقة بالحيوانية وقوة شهوية وهي التي تكون خالصة في البهائم تكون الوجهة الإساسية في البهمية هو مجرد الحياة. وأعتقد أن القوة الشهوية تحمل العناصر المؤثرة في القوتين الغضبية والشيطانية التي يذهب إليها الفلاسفة أو الاخلاقيون. فالقوة الشهوية إذا كانت لخدمة كيان البدن فإنها تتحرك في هذا الاطار في تغذيته أو الدفاع عنه إلاّ أن تلك القوى تتحرك في إطار تركيبة الإنسان التربوية أي جهازه النفسي ككل بما يحمل صدر لا مبادئ وقوى محركة وتراكمات الخبرة الحياتية بالاضافة إلى تكامل القوة العقلية وقوتها في تأثيرها على توازن هذه الدوافع وتوجيهها.

ونلاحظ ذلك في رواية سماعة بن مهران السابقة في كون هذه الاجناد من جنود العقل لا تجتمع إلا في نبي أو وصي نبي. وأما سائر الموالي الآخرين (أي سائر الناس) فإن

---

(١) راجع الحديث أن الله ركب في الملائكة.

أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل، بمعنى أن الإنسان لا يخلو من طغيان صفة على أخرى وما ذلك إلا للتأثيرات البيئية أو الوراثية بما يملكه الإنسان من إستعدادات ذاتية وما يطرأ على حياته الاجتماعية من مؤثرات على سلوكه كاليتم والفقر والغنى والبطر، ونلاحظ أيضاً أن هناك اتفاقاً إلى أن الإنسان يسعى إلى الكمال بالطاقة العقلية المودعة فيه فهي تجره إلى الكمال العُلوي وأما الطاقة الشهوية فهي تجره إلى الأرض ثم ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾. إلا أننا نحتاج إلى الرجوع إلى الوراء قليلاً للتعرف على الإستعدادات الأولية التي تعتبر هي المؤثر الأوفر حظاً في التأثير على هذه المرحلة المتوسطة[1].

---

(١) يمر الإنسان في طور حياته الفردية بستة مراحل:

المرحلة الأولى: هي بروز الإستعدادات الأولية عندالإنسان في الإستعداد للآكل الكثير أو حب المال والذات كثيراً أم لا. وبهذه المرحلة تكون التأثيرات التربوية ضعيفة، وندعي أن هذه المرحلة هي منذ الولادة حتى سن السابعة إنطلاقاً من الحديث الشريف (الولد سن سبع سنوات وعبد سبع سنوات ووزير سبع سنوات، فإن صلح وإلا فاضرب على....)

المرحلة الثانية: هي مرحلة التربية الجادة والتأثير عل القدرات النفسية والعقلية التي يحملها، وهذه المرحلة تعتبر الأكبر إذ يصبح من الممكن التأثير على تنمية بعض الإستعدادات أو ردعها. =

ونلاحظ من خلال خطبة الإمام علي عليه السلام الأولى كما في النهج في صفة خلق آدم عليه السلام وكيفية تكوينه الجسدي فهو المؤثر في توجهه النفسي[1]. ونقتطف هنا بعضاً منها في ما يهم البحث وإلا فإن الخطبة مليئة بالمعاني العالية. قال:

* ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها، تربة سنّها بالماء حتى خلُصت. ولاطها بالبلة حتى لزوبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول.
* ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها

= **المرحلة الثالثة**: هي مرحلة التأثير البيئي الأقوى لكون الفرد هنا أقرب إلى الخروج كثير في بيئة وتأثير الأصحاب والأصدقاء والمحيط وتكون التاثيرات الأبوية أضعف بالإضافة إلى إحساسه بتكامله في مرحلة المراهقة مما يجعل المؤثرات أقل.

المرحلة الرابعة: وهي العشرينات ويبرز فيها تمام الشخصية الناشئة بما تملك من قدرات ومؤهلات وهي مرحلة الزواج غالباً إذ يبدأ الفرد في إعادة صياغة الكثير من المبادئ والتصورات النفسية.

المرحلة الخامسة: وهي الثلاثينات وهي مرحلة يبدأ فيها عنصر التكوينة النفسية المائلة إلى الإستفادت من الخبرات السابقة بالإضافة إلى بداية إتخاذ الكيان النفسي صلابته ويقل هنا المجال التربوي.

المرحلة السادسة: وهي مرحلة الكهولة وهي من الأربعين حتى الستين، حيث يبدأ الفرد بالهدوء والعقلانية أكثر والنفس تكون أكثر فاعلية.

(١) نهج البلاغة ص ٤٢ ج ١ خطبة (١).

وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها وادوات يُقبلّها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس.

* معجوناً بطينة الالوان المختلفة والاشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية، والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود.

* واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا إليهم دفائن العقول.

(حَزْن: الغليظ الخشن، سبخ: المالح، سن الماء: حسبه، لاطها: خلطها، لزوبت: ثبتت وأشتدت، اذهان: عقول، يجيلها: يحركها، يختدمها: إي يستخدمها في مآربه، إجتالتهم: صرفتهم).

والخطبة بالغة الفائدة مترابطة المعاني إلّا أننا إقتطفنا ما يمكن تصيد بعض المعاني منها في خصوص الموضوع ونلاحظ نقاطاً عدة:

١ ـ إن الطبيعة البشرية المجبولة في الإنسان تتكون من متضادات عدة كالعذب والسبخ والحزن والسهل وهي

إشارة واضحة إلى أن تكوينة هذا الإنسان من التراب والماء، فتركيبة التراب تشمل الأرض السهلة المطيعة والحزنة الصعبة والماء الذي يكون من العذب والسبخ أي المالح وهذا أوضح مثال على تعدد تركيبة الطبيعة البشرية.

يمكن القول أنها إشارة إلى الاستعدادات الطبيعية في النفس البشرية على تكونها من هذه المتضادات والتي من شأنها أن تخلق في الإنسان الاستعداد لجميع الاتجاهات فإذا ذهبنا بعيداً في مراجعة النظرية هذه من خلال هذا النص فإننا يمكننا الإدعاء أن الشخص (أ) تتكون فيه نسبة أكبر من قابلية الأرض السهلة عنها في الشخص (ب) وأيضاً في تركيبته المائية وهذا ما يعلل الإختلافات التي نراها في كون استعداد (أ) لاتجاه معين منذ صغره أقوى منه لدى (ب) وحتى لو افترضنا القابلية الوراثية فإنها على نظرية الجينات الحديثة لا تعطيك سوى قدرات نفسية. ولكننا نلاحظ من خلال مجموعة من الأخوة أن شخص (أ) تتركز عنده إستعدادات الكرم أكثر منها عند (ب) وهكذا في طريقة التعامل مع حالة البذل أو الحرص مثلاً[١].

---

(١) لا نريد أن نتمادى أكثر من توسيع النظرية، وإلا فإن الحديث المروي (السعيد سعيد في بطن أمه، والشقي شقي في بطن أمه). قد تشير إلى=

٢ ـ إن نفخ الروح حملت معانٍ إدراكية عدة في النفس البشرية وهنا يمكن وضع إطار تدرج الخلقة أي بعد تمام التكوينة الجسدية نفخ فيها من روحه ونلاحظ أن هذه النفخة حملت بجانب الحياة الحيوانية المتحركة أموراً أخرى، وهي الذهن والفكر واستعمال الجوارح والمعرفة التي يدرك بها الحق والباطل.

وهذه إشارة إلى أن الروح من خلال النص تحمل مناشيء عدة:

* الروح وهي الباعثة على حياة الإنسان من جموده.
* نفس تدرك الحواس الجسمية وتدرك بها العالم الخارج عن الجسد.
* عقل ويحمل معاني الذهن والفكر وإدراك الحق والباطل.

٣ ـ إن الإنسان لو خلي ونفسه فإن الشيطان يؤثر على سلوكه ونلاحظ التعبير باجتالتهم الشياطين أي أخرجتهم عن معرفته سبحانه وقطعتهم عن عبادته فكأن المعرفة متصلة بالعبادة اتصالاً وثيقاً.

= أن التكوينة التي في هذا الآنسان هي بذاتها ستوصله إلى السعادة أو الشقاء إلاّ أن حدود النظرية لا يمكن إطلاقها لوجود مقيدات العدالة لكلا الأمرين من خير وشر.

٤ ـ إن الله سبحانه لم يترك خلقه سداً لألاعيب الشياطين بل بعث الأنبياء لتذكرهم بالفطرة التي جبلوا عليها ويذكروهم بنعم الله. وهنا دمج الفطرة بالنعمة قد تفيد أن الفطرة ليست مجرد التوحيد بل إن الفطرة هو الاعتراف به وبوحدانيته وبنعمه سبحانه ونلاحظ تعبيره عليه السلام: ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته فالإنسان أودع في فطرته ميثاق الوجدان والنعمة والشيطان يوسوس له وينسيه ذلك والأنبياء تذكر بهذه الفطرة.

وملخص النص ان الإنسان يملك الاستعداد الفطري (الروحي) على التعرف على الأمور الحسنة التي أودعها سبحانه فيه وأن كيانه الحيواني فيه كل الاستعدادات للخير أو للشر وهو مصداق ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ أي طريق الحق والباطل بجانب استعداده لكليهما. إلا أننا ـ كما سنناقش فيما بعد ـ نلاحظ أن الإنسان لوخلي وطبعه فإنه يبتعد عن الخط الإلهي وخاصة بتأثير الشياطين، ونلاحظ من خلال النص أن الأنبياء بُعثوا لتذكير الناس وتصحيح توجههم. بمعنى آخر إن الإنسان في واقع سعيه الطبيعي هو الإتجاه إلى كماله بالوصول إلى الله سبحانه إلاّ أن الشياطين تحرف هذا الاتجاه إلى وجهاتها الخاطئة، والله سبحانه وتعالى يبعث الأنبياء لتصحيح المسار الخاطئ ليوجههم إلى الإتجاه الصحيح، ولو لم يكن

عند الإنسان تلك الاستعدادات القوية نحو الكمال (العقل) لما إستطاعت الأنبياء من تصحيح هذه النفوس البالية.

إذن عندنا مرحلة التكون الجسدي وهذا يكون حين انعقاد النطفة والحياة الرحمية في خلق التكوينية الجسدية والاستعدادات النفسية والوراثية.

ثم مرحلة التربية والتأثر خلال المرحلتين الأوليتين وبالخصوص المرحلة الثانية. وتبدأ رحلة الصراعات خلال تكامله النفسي لتكون قوية تجاه أمر والقبول بأمر آخر والسعي لأمر ثالث وهكذا. فهو يريد أن يلعب كثيراً فيمنع، وتعتمد هنا ردود أفعاله على قدراته ونشاطاته الجسمية الدافعة نحو اللعب. فقبوله بأمر يعتمد على تركيبته وقدرته النفسيه من حيث مستوى العناد وهكذا، ونتقدم إلى المراحل المتقدمة للتعرف على صراعات الدوافع هناك.

ونستعرض هنا حديثاً وإن كان طويلاً إلا أننا سنستخلص منه بعضاً من صراع الدوافع تلك. صحيحة أبي ولّاد[1] قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إن رجلاً

---

(١) البحار ج ٨ ح ٥٩ ص ١٤١.
الحسين بن محبوب (ثقة: رجال الخوئي ج ٥ ص ٨٦) وأبو ولّاد حفص بن سالم (ثقة: رجال الخوئي ج٦ ص ١٣٦).
أمر مريج: ملتبس مختلط.

من أصحابنا ورعاً مسلماً كثير الصلاة قد إبتلى بحب اللهو وهو يسمع الغناء، فقال: أيمنعه ذلك من الصلاة لوقتها أو من صوم أو من عيادة مريض أو حضور جنازة أو زيارة أخ؟ قلت: لا ليس يمنعه ذلك من شيء من الخير والبر، فقال: هذا من خطوات الشيطان مغفور له ذلك إن شاء الله. ثم قال: إن طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في اللذات والشهوات ـ أعني الحلال وليس الحرام ـ قال: فأنف الله للمؤمنين من ولد آدم من تعيير الملائكة لهم، قال: فألقى الله في همة أولئك الملائكة اللذات والشهوات، كي لا يعيبوا المؤمنين. قال: فلما أحسوا ذلك من همهم عجوا إلى الله من ذلك فقالوا: ربنا عفوك عفوك ردنا إلى ما خلقنا له وأجبرتنا عليه، فإنا نخاف أن نصير في أمر مريج، قال: فنزع الله ذلك من همهم قال: فإذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنة في الجنة استأذن أولئك الملائكة على أهل الجنة فيؤذن لهم فيدخلون عليهم فيسلمون عليهم ويقولون لهم: «**سلام عليكم بما صبرتم**» في الدنيا عن اللذات والشهوات الحلال.

ونلاحظ نقاطاً عدة من خلال النص:

١ ـ إن الإنسان يعيش صراعاً بين دوافع الكمال ودوافع الشهوات بالرغم من تكامله بالورع كما نلاحظ في

النص وهو الحديث عن مؤمن ورع وإن المؤثر في دوافع الشهوات هي الخطوات الشيطانية.

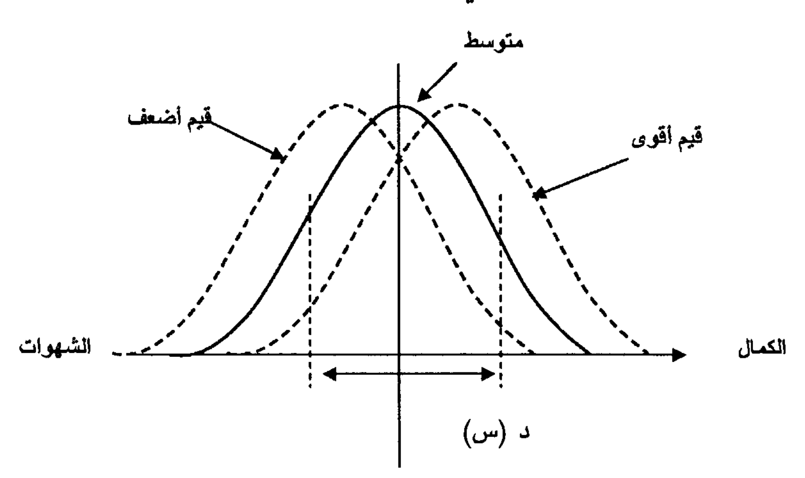
٢ ـ إن الملائكة على رغم تكاملها العقلي ولكن حينما غرزت الشهوات فيها فإنها لم تستطع أن تصمد بوجه مؤثرات الشهوة فتحولت إلى حالة إضطراب حتى طلبت من ربها سحب تلك الغرائز، حتى لا تقترف المعاصي أو تبتعد عن ساحة القدس وهذه إشارة إلى قوة حالة الشهوة في التأثير على دافعية أو سلوك الإنسان.

٣ ـ إن النص عبر باللذات والشهوات الحلال وكيف أن المؤمن بالرغم من قوة الدافع العقلي لديه إلا أنه يقع تحت غلبة المؤثرات الشهوية فما بالك بالأقل منه. وقد نلاحظ هنا أيضاً بمراجعة العلوي السابق في عقل الملائكة وشهوة البهائم في أن الإنسان حينما يغلب عقله على شهوته فإن بني آدم يكون أفضل من الملائكة وذلك لوجود دافع مضاد قوي ومع ذلك تغلب عليه الشهوة وإذا غلبت الشهوة فهو أقل من البهائم لوجود دافع مضاد وهو العقل.

٤ ـ التعبير بأن هذا من خطوات الشيطان يشير إلى أن هذا الكيان الإنساني له القابلية القصوى على عمل الخير

ولكن تسويلات الشيطان هي التي حادته وأثرت عليه للاندفاع نحو حالة اللهو.

وهنا نجد أن الحالة النفسية التي يواجهها الإنسان تؤثر عليها حالات وصوراً عدة وهذا يعتمد على التركيبة النفسية في الإنسان الفرد، فأولاً هناك من يضع حداً عالياً للدافع العقلي (الكمال) ويتضح ذلك في القادة المعصومين من أنبياء ورسل وأوصياء ويقل هذا الدافع كلما تدرجت بالسلم إلى الأسفل إلى أن تصل إلى الحياة البهيمية ولذا لا نتردد في وصف الإنسان الغارق في شهواته بالحيوان.



فنلاحظ من خلال الرسم البياني هذا أن د(س) هي النسبة المئوية للحد الوسطي وهي تتحرك بمقدار قرب المجتمع من شدة المعوقات وضعفها الغريزي (الشهوي)

وجهاز الحرية الاجتماعية من قيم وأفكار، فكلما قل المستوى كلما زادت النسبة بجانب الموروثات الاجتماعية التي تشكل مؤثراً تربوياً في جهاز الإنسان الداخلي والخارجي.

يضاف إلى ذلك أن مستوى التربية النفسية للفرد تجاه اشباع رغباته لما ينشا عليه من حالة إجتماعية واقتصادية بالارتفاع والانخفاض. وبالنتيجة د(س) = د(القيم، الحرية، الموروثات، الرغبات، الاقتصاد، الاستقرار) فالمجتمع المستقر اقتصادياً واجتماعياً، ولكن جهاز القيم ضعيف فان د(س) تكون أقرب إلى جهة الشهوات بعكس ما إذا كان جهاز القيم في نفس عناصر المجتمع ذاك أقوى فإن المنحنى يميل إلى جهة الكمال أكثر.

أما على مستوى التكوينية الفردية فإن البيئة التي ينشأ فيها الفرد من توفر مستلزمات الحياة المادية الكاملة والتي تقوم بتغذية حاجات الشهوة النفسية مما يساعد على تكوين الرغبات النفسية والاتجاهات المادية الشهوية والتي تقل في تلك الرغائب المعنوية فينمو الشخص أقرب ما يكون إلى الملذات والشهوات.

والنفس الناشئة في هذه البيئة تعيش الصراع النفسي بين

صنوف الشهوات المادية بخلاف البيئة التي تقلّ فيها عناصر المؤثرات المادية تلك. فإن الصراع يقل بين الشهوات والمعنويات.

٥ ـ نلاحظ من خلال سؤال الإمام عليه السلام بأنه هل يمنعه ذلك من الخير وإلبر ثم القول بأنه من خطوات الشيطان مغفور له إنشاء الله هو إشارة يمكن تصورها في أن الإنسان إذا كان بتلك الحالة من العبادة والتصرفات الطيبة فقد تتحرك عنده بعض الغرائز كحب اللهو وقد ربطها بكونها من خطوات الشيطان وهو تعبير إلى أنه يسلك هذا السلوك بتاثيرات شيطانية وليست نابعة من كيانه الخيّر. وبمعنى آخر إن الإنسان وإن التكامل في العبادة وعمل الخير فقد تؤثر عليه بعض المؤثرات في سلوكه وإن كانت طينته خيْرة. وهذه النفس أكثر ما تكون قريبة من النفس اللوامة نظراً لأن مصادر تأثير الملامة هو لتصحيح الخطأ.

وبالرجوع إلى حديث سماعة بن مهران عن أبي عبدالله عليه السلام في تعريف خصال العقل وخصال الجهل إذ قال:

١ ـ فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في

نبي أو وصي نبي أو مؤمن قد أمتحن الله قلبه للايمان.

٢ ـ أما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل.

فهنا نلاحظ أن الانبياء والاوصياء والمؤمنين الممتحنين ترتفع عندهم خصال اجناد العقل وعندما تنزل إلى سلم الناس العاديين فإن الملاحظ أن المزيج من خصال العقل وخصال الجهل أي الخير والشر تكون ممتزجة فيهم بل التعبير «لا يخلو» هو إشارة إلى أن الكيان النفسي للإنسان بشكله العام هو غلبة عنصر على آخر في بعضها وانخفاضه في عنصر آخر، فهذا المزيج من العناصر يكّون جوهر النفس الإنساني ولذا فقد تغلب خصلة في إنسان تنسي خصالاً أخرى، فخصلة الكرم مثلاً تجعل الإنسان بكمال أعلى وان توفرت فيه ولو قليلاخصلة الكذب وهكذا.

وخلاصة القول بأن الوجهة الإسلامية ـ كما أتصورها ـ تضع الدوافع على منحيين وهما العقل ويضع له جنود وخصال متصله به وفي مقابله الشهوات والملذات ويضع خصالاً متصلة بهن ثم يضع خطاً معتدلاً بين تلك الدوافع لتحريك الإنسان من خلالها.

ونلاحظ ذمّ الإسلام للاسراف ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا

يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وهو معنى أشمل من كونه في الاسراف المادي بل يشمل الاسراف المعنوي أيضاً.

فالإسراف يشمل الزيادة في السلوك في أي جانب دون أن يكون له حاجة واقعية لتلك التغذية، فعندما يسرف الإنسان في الاتجاه العقلي وينسى حاجياته المادية فإنه ينطبق عليه عنوان المسرف وكذلك من يسرف في الاتجاه الشهوي.

بل إن الإنحراف عن الطبيعة البشرية يُعدُ إسرافاً كما في قوله ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[١].

قول الرسول ﷺ: **«ولكن بعثني بالحنيفية السمحة»**[٢]

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨١.

(٢) الوسائل ص ٤٨ من مقدمات النكاح، ج ١٤ ح ١ ص ٧٤.

محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن إبن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاءت إمرأة عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج رسول الله ﷺ. مغضباً يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي فانصرف عثمان حين رأى رسول الله ﷺ. فقال له: يا عثمان لم يرسلنى الله بالرهبانية ولكن بعثنى بالحنيفية السمحة أصوم وأصلي وألمس أهلي، فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح.

أو المروي في الصحابة الثلاثة الذين آثروا أن يعتزلوا النساء والطعام والطيب وأجابهم النبي ﷺ: «**أما أني آكل اللحم وأشم الطيب وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

وهذه النصوص تشير إلى أن الاعتدال هو المطلوب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ بالإضافة إلى أن الأنبياء والأوصياء عندما يزداد عندهم الإتجاه العقلي فإنَّما هو القدرة على موازنة الطلب والحاجة إلى أعلى مستويات الموازنة، فقد يكون على حساب أنفسهم لأمر هو أعلى في الميزان الإلهي كما نلاحظه في ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ وهنا يكون لهدف سامٍ هو الخلوص وشكر الله النابع من صفاء نفوسهم بل قد يلاحظ بعض الزيادة، كمساواة الضعفاء من الناس عند

---

(١) المصدر السابق ح ٢.
عن الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد عن أبي داود المسترق عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن ثلاث نسوة أتين رسول الله ﷺ فقالت: إحداهن ان زوجي لا يأكل اللحم، وقالت الآخرى إن زوجي لا يشم الطيب، وقالت الأخرى: إن زوجي لا يقرب النساء، فخرج رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام من أصحابي لا يأكلون اللحم ولا يشمون الطيب ولا يأتون النساء، أما أني آكل اللحم وأشم الطيب وآتي النساء فمن رغب عن سنتى فليس مني.

اللباس البالي أو لاعطاء أعلى مستوى من الصورة الكمالية للإنسان، ونلاحظ تعليلاً علوياً لذلك المؤمن من أصحابه عليه السلام عندما قال له: هذا أنت يا أمير المؤمنين في جشوية مأكلك! فقال أمير المؤمنين: «**إن الله أخذ على الحكام أن يواسوا ضفعة الناس حتى لا يبير بالفقير فقره....**».

فقد يتصور الإنسان أن الوصول إلى تلك المرحلة السامية غير يسير، فمن خلال هؤلاء الصفوة يتعرف على إمكانية ذلك.

ففي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**العقل والشهوة ضدان ومؤيد العقل العلم ومزين الشهوة الهوى والنفس متنازعة بينهما فأيهما قهر كانت في جانبه**»[1].

فالنفس تتكون عندها القوة على أحد الإتجاهين، وبذلك تتكون وتقوى خلال تلك الحالة القوة العقلية وذلك بالتعلم والمعرفة أكثر، فإن هذه القوى تكون أقدر على لجم القوة الشهوية التي يعتبر الهوى هو المؤثر في تزيين الشهوة.

والتعبير بمؤيد للعقل ومزين للشهوة لا يخلو من فائدة كبيرة إذ أن العقل يتعرف على الأمور بشكل تلقائي بينما

---

(١) غرر الحكم/الأمدي/ص

الشهوة تحتاج إلى من يزين ذلك العمل فتتوق النفس وتشتهي عمله.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**طوبى لعبد جهد لله نفسه وهواه ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله**»[(١)].

ونلاحظ أسمى تعبير عن ذلك ما أوثر عن أمير المؤمنين عليه السلام: يا دنيا اليك عني فقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها. فهو اسمى حالة من حالات التجرد النفسي من الماديات طرحه أمير المؤمنين عليه السلام في الوصول إلى الله، ولكنه لم يمتنع عن الأكل أو الشرب أو الزواج بل سار في حياته بشكلها الطبيعي قدر حاجته لكن لم يجعل هذه الدنيا وشهواتها وملذاتها تقوده وتجعل منه عبداً لها بل هو الذي قادها.

وبكلمة مختصرة فإن الاعتدال هو في موازنة حاجيات البدن عبر السلوك الصحيح إليه أي عبر الطرق المباحة مع الأخذ في الاعتبار ان ما يصل إليه ياخذ منه قدر حاجته دون نهم ويكون العقل هو ميزان تغذية هذه الحاجات.

ثالثاً: دوافع الطاعة والمعصية:

وقد اتضح من خلال البحوث السابقة القوتان المؤثرتان

---

(١) مصباح الشريعة/

في توجيه الإنسان سواء أكانت نحو العلو والموثر فيها القوة العقلية أو إلى الدنو المؤثر فيها القوة الشهوية.

فالنفس تتركز فيها كل تلك القوى فتقوم باستعمالها في تحريك إرادة الإنسان نحو الغاية المعينة، فهي تواجه قوتين من خلال هذا التنظيم فالقوة الأولى هي مصادر الشهوات تلك وهي المتعلقة بشكل مباشر باستمرار حياة الإنسان الدنيوية وقوة علوية وهي العقل (الكمال) لترفع الإنسان إلى الأعلى.

إلا أن النفس في موازنتها بين هاتين القوتين هي أقرب إلى إعطاء الأولوية إلى القوة الارضية المتعلقة بالبدن وشهواته إلاّ أن نفس الإنسان استطاعت تقوية إرادتها بالعقل منذ البداية لتكون طوع إرادته على قيادة النفس ومؤثراتها فيكون سلوكه معتدلاً أو أقوى منذ البداية. وهنا نجد مصدرين لتأييد هذا المعنى:

الأول هو من خطبة(١) للإمام علي عليه السلام: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «**إن الجنة حفت بالمكاره وإن النار حفت بالشهوات، واعلموا أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي**

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٧٦ ص ٣٧٩.

في كره وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة، فرحم الله رجلاً نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد ما شيء منزعاً، وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى».

والثاني: أيضاً من خطبة[1] للإمام علي عليه السلام: «**وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق**». ونلاحظ من خلال النص الأول أن النار كنتيجة للمعاصي قد حفّت بالشهوات وهو قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. وقد وضحه الإمام علي عليه السلام حيث قال: «**وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة**».

فإن دوافع الشهوات هي الموجه إلى المعصية بل أضاف عليه السلام: «**إنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى**». ما يشير إلى أن الدوافع نحو المعصية أو التعبير بالنزوع وهو معنى التوجه نحو الشيء فكأن النفس الإنسانية هي في توجهها نحو المعاصي كبيرة من خلال الشهوات إلاّ أن يصل الإنسان إلى مرتبة أعلى بقمع الهوى المؤثر في التوجه نحو الشهوات. ولعل ما أشار إليه عليه السلام في كلمة أخرى[2]: «**الناس**

---

(١) نهج البلاغة حكمة رقم ٢٩٥ ص ٤٦٩.

(٢) نهج البلاغة من كتاب له إلى عثمان بن حنيف خطبة رقم ٤٥ ص ٣١٧.

أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه»، وهو تعليل لأسباب هذا الحب لكونهم في الحياة الدنيا التي عبّر بكونها أمهم.

أما النص الثاني فيشير إلى المعنى الثاني في أن التربية بتقوية النفس على المعاني التكاملية العالية بالتقوى وهي ما تجعل النفس أكثر ضعفاً امام تلبية رغباتها الأرضية، تتوجه بشكل أكبر إلى المعاني العالية والقرب الإلهي.

وتتدخل بشكل كبير التربية لتوجيه وتقوية قوى العقل لتقوى القدرة الإرادية النفسية لتأخذ مجالاً أكبر في التأثير على قوى النفس الشهوية بما تزرع فيه من تقوية قوى الخير لتكون طينته أكثر إستعداداً لتقبل تلك الطاقات الفاعلة، وقد لاحظنا من خلال روايتي إبن مسكان وإبن نباته أن الخصال المتعلقة بالعقل ستة: اليقين والقنوع والصبرو الشكر والحياء والدين. وفي مقابلها قوى الشهوات[1] وهي الاستكبار

---

(١) صحيحة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أصول الكفر ثلاثة الحرص والاستكبار والحسد، فأما الحرص فإن آدم عليه السلام حين نهى عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها، وأما الاستكبار فإبليس حين أمر بالسجود لآدم فأبى، وأما الحسد فابنا آدم حيث قتل أحدهما الآخر صاحبة الكافي، باب أصول الكفر وأركانه، ج ٢ ص ٢٨٩ ح١.
رجال الحديث الحسين بن محمد الأشعري القمي (ثقة: المعجم ٦/ ٧٢)، أحمد بن إسحاق القمي (ثقة: المعجم ٢/ ٤٣) بكر بن محمد=

والحرص والحسد وما تشعب من الحسد وهو حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة[١].

فالقوى الأساسية المتواجدة في كل إنسان من الناحية العقلية هي اليقين والقنوع والصبر والشكر والحياء والدين والقوى الأخرى المواجهة لها وهي قوى الشهوات والحرص والكبر والحسد وما تشعب منها.

= الأزدي (ثقة: المعجم ٣/ ٣٥١)، وأبو بصير (ثقة: المعجم ٢١/ ٤٤) أما لكونه يحي بن أبي القاسم أو ليث ابن البختري).

(١) الكافي، باب ذم الدنيا ح ١١ ج ٢ ص ١٣٠ ومحمد بن مسلم بن شهاب قال: سُئل علي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بُغض الدنيا، وأن لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر وهي معصية إبليس حين أبى وأستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحوا حين قال الله عز وجل لهما: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ فأخذا مالا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أن أكثر ما يطلب إبن أدم ما لا حاجة به إليه ثم الحسد وهي معصية إبن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة: والدنيا دنيانان: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة.

إلا أنه بمراجعة هذه القوى العقلية من الناحية النفسية فإنها تمثل قمة الكمال النفسي عند الإنسان وبما ينمي ويقوي هذه القوى يستطيع أن يؤثر ويكبح جماح القوى الشهوية إلاّ أن الشهوية تظل القوة الضاغطة الأقوى، فحب العلو وهو أحد شعب هذه القوى يجعل عامل الحسد قوياً في الإنسان لأن من ينافسه في تلك المناصب هو محل نبذ من الناظر من هذه الناحية، فبعض الناس تقوى عندهم هذه القوة وآخرون تقوى عندهم قوة الصبر على الحالة التي هم فيها وآخرون تقوى عندهم قوة الحياء[١].

بالإضافة إلى أن قوى الشهوات (الغرائز) هي في الأساس للمحافظة على حياة الإنسان ووجوده فهي المبادرة في العمل، فالطفل يبدأ بشرب اللبن لغذائه ويتطور باستعمال يديه للأكل وتتطور قدراته في الدفاع عن النفس بل واستعمال الغرائز الأخرى، وتتغير الأساليب خلال مراحل حياته، والتربية تأخذ المجال الأقوى في تحريك القوى العقلية، وهنا نلاحظ تأثير التربية في بلورة القوة العقلية عند الإنسان، فكلما تقدم العمر، منهم من تكون قوة اليقين أقوى وآخرون قوة الصبر وهكذا.

---

(١) العلوي المروي: من كساه الحياء ثوبه لم يرى الناس عيبه.

والخلاصة: إن صراع الدوافع يؤثر فيها الاتجاه الارضي الذي يعتبر قوياً إلاّ أن التربية الجيدة تخلق دوافع للسمو إلى الأعلى تساعد الإنسان على مواجهة مصاعب وغواية التزيين الأرضي.

وأساس المعصية هي قوى الشهوات وهي الاستكبار والحرص والحسد.

واساس العقل (**الطاعة**) هي اليقين والقنوع والصبر والشكر والحياء والدين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾.

* * *



المصادر

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ الكافي.
٣ ـ وسائل الشيعة.
٤ ـ نهج البلاغة.
٥ ـ جواهر الكلام.
٦ ـ الحدائق.
٧ ـ الأربعون حديثاً: الفطرة ـ الإمام الخميني (قدس سره).
٨ ـ مباحث الحجج والاصول العملية (السيد الصدر (قدس سره)).
٩ ـ الأصول العامة للفقه المقارن ـ محمد تقي الحكيم.
١٠ـ أصول الفقه ـ المظفر.
١١ـ أصول الفقه ـ الخضري.
١٢ـ الصحة النفسية ـ د. نعيم الرفاعي..
١٣ـ علم النفس الإسلامي ـ الدكتور البستاني.

١٤ـ الدافع النفسي ـ الدكتور مصطفى فهمي.
١٥ـ البحار ج ١ ص ٣٥٥.
١٦ـ جامع السعادات ج ١ ص.
١٧ـ الأسفار.
١٨ـ تلخيص المحصّل.
١٩ـ الدافعية والانفعال ـ ادوارد موراي.
٢٠ـ تهذيب الاخلاق ـ ابن مسكويه.
٢١ـ علم النفس التحليلي بمنظار اسلامي ـ الدكتور محمد حسين ضيائي.
٢٢ـ جهاد النفس ـ الاستاذ مظاهري.
٢٣ـ علم النفس ـ د.جميل صليبا.
٢٤ـ سيكولوجيا العواطف ـ ريبو.
٢٥ـ الاسلام وقضايا علم النفس.
٢٦ـ معجم رجال الحديث.
٢٧ـ مصباح الشريعة.
٢٨ـ غرر الحكم للامام علي عليه‌السلام ـ الآمدي.

***

الملاحظات

سيكولوجية التوبة



ما هي التوبة؟؟

معنى التوبة لغةً هي الرجوع، وأما اصطلاحاً فهي الرجوع من الذنب القولي والفعلي والفكري، وهي تنزيه القلب عن الذنب والرجوع من البُعد إلى القرب[(١)] أو الرجوع من الغيّ والضلال إلى الرشد والهداية والكمال أو الرجوع إلى الله بعد الإعراض عنه[(٢)].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله لقائل بحضرته «أستغفر الله»[(٣)].

---

(١) جامع السعادات ج ٣ ص ٤٩.

(٢) القواعد الفقهية/ رسالة في التوبة/ ج٧/ ص٢٨٢.

(٣) نهج البلاغة/ كلمة رقم ٤١٧/ ضبط الدكتور صبحي الصالح/ ط١٩٨٠ م الوسائل ج ١٦ ص ٣٦١ ح ٤/ ل ٨٧ من أبواب اخلاص التوبة.

ثكلتك أمك، أتدري ما الإستغفار؟

الإستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول «أستغفر الله».

ونلاحظ هنا في الرواية مراحل ترتب الإستغفار حتى الوصول إلى مرحلة التوبة إلى الله: ندم ـ عزم على الترك ـ تأدية الحق للناس ـ تأدية حق الله ـ مسح أثر المعصية ـ العمل بالطاعة.

والحديث سيكون في هذه المراحل النفسية حتى

الوصول إلى مرحلة التوبة ونبدأها بالتفريق بين الإستغفار والتوبة.

الإستغفار والتوبة:

من خلال الإستعمال العرفي هو الدمج بين المعنين بل ونلاحظ من خلال روايات عدة هذا الدمج، إلا أنه من خلال تتبع الروايات الواردة على نحو التفصيل نستظهر أن الإستغفار هو المرحلة الأولى من مراحل التوبة، فالإنسان عندما يتوجه إلى ربه آيباً فعنده احساس بالخطأ ثم الإستغفار أي طلب المغفرة من ذلك الذنب، ثم يصلح ما اقترفه من معصية أو تركه من واجب ثم تحدث حالة التوبة وهي مجموع تلك المراحل.

ونستعرض هنا بعض الروايات المتعلقة بذلك لتوضيح الفرق:

الأولى: محمد بن الفضيل عن أبي الصباح قال: قال جعفر بن محمد عليه السلام من أعطى أربعاً لم يحرم أربعاً، من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أعطى الإستغفار لم يحرم التوبة، ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة ومن أعطى الصبر لم يحرم الأجر[1].

---

(١) جامع السعادات ج ٣ ص ٤٩.

والرواية ظاهرة في أن الإستغفار يأتي أولاً ثم تليه التوبة، إلاّ أن الأقرب هنا ان التوبة بمعنى المغفرة لا بمعنى حالة التوبة أي الرجوع عن الذنب الذي هو محل النقاش.

الثانية: مرسلة أبي كهمس عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أعطى أربعاً لم يحرم أربعاً فمن أعطي الدعاء لم يُحرم ألإجابة، ومن أعطى الإستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول منه، ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة، وذلك في كتاب الله عز وجل[1].

والرواية هنا لم تربط بين الإستغفار والتوبة، فرتب المغفرة على الإستغفار ورتب قبول التوبة على التوبة نفسها.

إلا أن المتصور في الإستغفار هو طلب المغفرة وهذه تأتي بعد حقيقة التوبة لا الإستغفار اللفظي وأعطى ربك لمن طلب تلك المغفرة أن يغفرها له.

الثالثة: رواية كميل بن زياد عن أمير المؤمنين عليه السلام: العبد يصيب الذنب فيستغفر الله، فقال: يا ابن زياد التوبة! قلت فقط! قال لا، قلت كيف! قال: إن

---

(١) القواعد الفقهية/ رسالة في التوبة/ ج٧/ ص٢٨٢.

العبد إذا أصاب ذنباً قال أستغفر الله بالتحريك، قلت وما التحريك؟ قال: الشفتان واللسان، يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة، قلت وما الحقيقة؟ قال: تصديق القلب وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه، قلت فإذا فعلت ذلك فانا من المستغفرين! قال لا لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعدُ، قلت فأصل الإستغفار ما هو؟ قال: الرجوع إلى التوبة عن الذنب الذي إستغفرت منه وهي أول درجة العابدين وترك الذنب والإستغفار إسم واقع لستة معانٍ[1].

ونلاحظ في الحديث معانٍ مهمة عدة:

ـ أن الإستغفار اللساني أول مراتب الإستغفار.

ـ تحقيق الإستغفار اللفظي بالتصديق القلبي والتعهد بعدم العود له.

ـ مرحلة التوبة وهي مرحلة العمل على محو الذنب سواء كان لله في عبادته بالإتيان بها أو للعباد بإرجاع حقوقهم.

---

(١) الوسائل ج١١ ب ٨٧ ح ٥، وفي الرواية قوله (بس أو ليس) والملائم لسياق المعنى بس؟ على نحو السؤال فقط؟

فتكون التوبة بهذا المعنى هي الحالة المتأخرة عن الإستغفار، فالإستغفار هو الاحساس القلبي بالخطأ والرجوع عنه، ولكن التوبة هي العملية الكلية لإصلاح ما أفسده الذنب.

حالة الندم[1]:

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾، وفي مناجاة التأبين للإمام زين العابدين عليه السلام: «**الهي إذا كان الندم على الذنب توبة فإني وعزتك من النادمين، وان كان الإستغفار من الخطيئة حطة فإني لك من المستغفرين...**»[2].

وجاء في دعائه عليه السلام في التوبة:

(٢٥) اللهم لا خفير لي منك فليخفرني عزك، ولا شفيع لي إليك فليشفع لي فضلك، وقد أوجلتني خطاياي فليؤمني عفوك.

(٢٦) فما كل ما نطقت به عن جهل مني بسوء أثري، ولا نسيان لما سبق من ذميم فعلي، لكن لتسمع سماؤك ومن

---

(١) معنى الندم لغة هو الأسف (لسان العرب ج١٢ ص ٥٧٢).

(٢) الصحيفة السجادية ص ١٢٠.

فيها وأرضك ومن عليها، ما أظهرت لك من الندم ولجأت إليك من التوبة.

(٢٨) اللهم إن يكن الندم توبة إليك فأنا أندم النادمين، وإن يكن الترك لمعاصيك إنابة فأنا أول المنيبين، وإن يكن الإستغفار حطة للذنوب، فإني لك من المستغفرين).

وصحيحة علي عن أبي جعفر عليه السلام قال: **كفى بالندم توبة**[1].

ولتحقيق حالة الندم عن النفس فلا بد أن يتحقق في الإنسان عدة أمور مسبقة.

فالإنسان لا يصل إلى هذه الحالة إلا بعد أن **يعلم** بأنه قد قام بعمل خاطىء سواءاً كان نحو فعل المحرم أو ترك الواجب فكلاهما يدخلان تحت عنوان المعصية، ولكن بعض الناس يرتكب المعاصي دون أن يشعروا بخطأ ما يقومون به، والمرحلة التالية هي **وخز الضمير** بمعنى أن الإنسان يشعر في داخل نفسه أنّ ما يقوم به غير صحيح، ومع ذلك فهناك من يحس بوخز الضمير دون أن تستشعر نفسه الندم، ولذا فإن وخز الضمير يحتاج إلى حالة أخرى يخاف فيها الإنسان من

---

(١) الوسائل ج١٦ ص ٦٢.

الإستمرار على تلك المعاصي حتى تتوجه نفسه إلى الطاعة وهي مرحلة **الخوف**.

فالمراحل التي تمر بها النفس للوصول إلى حالة الندم هي: **معرفة ـ وخز الضمير ـ خوف.**

المرحلة الأولى: المعرفة:

- **المعرفة** هي العلم بحكم الله في ذلك الأمر بمعنى العلم بأن هناك واجب يجب القيام به وهناك نهي يجب الإبتعاد عنه، وقد تكون العادات والتقاليد والأعراف الإجتماعية الواجبة والمحرمة داخلة تحت عنوان المعرفة لكن لا بمعنى حكم الله بل على نحو ان الإنسان يتشرب هذه المعاني من خلال المصادر الاجتماعية ليصبح تجاوزها ذنباً اجتماعياً وان لم يكن مصدراً شرعياً سماوياً، فالعادات الإجتماعية تعتبر من الأمور المطلوبة والتي لا يجّوز المجتمع تجاوزها، فمعرفتي مثلاً بالقيام للقادم كعادات إجتماعية يعتبر المخالف لها خارجاً عن الإطار الصحيح، وكذلك الأعراف الإجتماعية، ولكن من الأمور الأشد تأثيراً على المستوى الاجتماعي هي القانون سواء كان مصدره سماوياً أو أرضياً، فإن للقانون تأثير قوي على الإنسان، ولكن ليحدث إرتداع فلا بد من

معرفة الإنسان بالقانون، أو الحكم الشرعي اولاً، فالمعاصي المتعلقة بأطراف أخرى في المجتمع كالسرقة مثلاً أو لها تأثير شخصي في بعض الأحيان كشرب الخمر، أو كون غالبيتها أمراً شخصياً كترك الصلاة والعبادات الشخصية، فكل تلك الحالات لها تأثيرها، ولكن يحتاج الإنسان إلى معرفتها أولاً حتى يدرك هذه المحرمات أو الواجبات ويحدث بذلك إنفعال وإلا فلا مصدر للتحريك نحو العمل أو رادع عن المحرم.

فالمعرفة هي التصورات والتصديقات ومصدر التصورات هي الاحساس والادراك، والاحساس على أنواع، فالاول هو الاحساس المادي وهو البصري والسمعي والشمّي واللمسي والذوقي، والثاني هو الاحساس الباطني أو مايسمى بالحس المشترك أي احساس الإنسان بما يجري داخل جسمه، كإحساس الإنسان بالجوع والعطش وجهازه الهضمي والعصبي وغيرها، والثالث هو الاحساس بالألم واللذة، والرابع هو إحساس الحركة أي اطلاعنا على اوضاع اعضائنا، والخامس هوحاسة التوازن والمؤثر عليها الأذن الداخلية[١].

فالأحاسيس المادية هي المصادر المعرفية للإنسان

---

(١) علم النفس/ دكتور جميل صليبا/ صفحة ٣٢٠

للتعرف على العالم الخارجي وأما الأحاسيس الباطنية فهي المعرفة الباطنية للإنسان بما يجري في جسمه.

ثم تتحول هذه الأحاسيس إلى صور ذهنية تبقى في الذهن وهي الحالة التي تبقى في ذاكرة الإنسان وتعتبر من المصادر المؤثرة في تكوين شعور الإنسان بصورة أو أخرى، فالصورة تتجرد من خلال عمل العقل على حذف المشتركات ليضع صورة حقيقية لذلك الشيء إلاّ أن النفس تحتفظ بصورة معينة تكون هي مصدر التأثير على فهمه لذلك الشيء، أو أن تكون هناك صورة مجردة تصادف مجموعة من التجارب الحلوة أو المرة والتي تشوب الصورة المجردة وتبقى هي الصورة المحفوظة بدلاً من تلك، فالأبوة الجميلة التي تسجلها ذاكرة الطفل تتحول إلى ابوة قبيحة عندما يتربي الطفل مثلاً في كنف زوج والدته القاسي، والمادة العلمية الجميلة تتحول إلى مادة منفرة من تدريس استاذ سيء الخلق والأخلاق الاسلامية الناصعة، لتتحول إلى أخلاق منبوذة إذا كان المربي لها كثير الغيبة للناس أو يحسد الآخرين(١).

---

(١) والقرآن بشير إلى هذا المعنى حيث يقول ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فالإنسان عليه أن يكون ملتزماً اولاً بالمبائ التي يطرحها للناس والإنسان عادة مايربط بين الافكار والنصائح المطروحة وبين مستوى التزام المعلم أو المعتقد بها. وكأبسط مثال=

ولذا فكلما استطعنا دمج المعاني الاسلامية العالية بالسلوكيات العالية فإن هذه المعاني تكون على اعلى مستويات البناء النفسي للمعرفة الإسلامية.

المرتبة الثانية: ربط المعرفة بالجزاء أي أن هناك ثواب وعقاب على تلك الأوامر والنواهي، لتتفاعل النفس الإنسانية من الربط بين التكليف وبين الجزاء، فالإنسان هنا يتعرف على أن في ذلك الفعل ثواب دنيوي كالسعة في الرزق كما في الصدقة مثلاً أو طول العمر كما في صلة الرحم، وهناك جزاء أخروي وهو ثواب على العمل الصالح، وعقاب على العمل الطالح، وبذلك يدرك الإنسان بأنه عندما يقوم بذلك العمل فإن عليه مترتبات تتعلق بذلك.

ونلاحظ القرآن الكريم يربط تلك المعاني بذات الإنسان اولاً كما في قوله تعالى ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ وهنا ربط بين العمل الصالح والسيء وبين الإنسان ذاته ثم رتب في آية أخرى مردودات وفوائد العمل الصالح وما يترتب عليه من نتائج ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ

= يتداوله الناس هو نصيحة الطبيب لمريضه بالاقلاع عن التدخين بينما هو يقوم بذلك.

حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ فهنا انتقال إلى مرحلة أخرى وهو جزاء العمل الذي تقوم به فليس العمل الصالح مجرداً من الفائدة، أي أن تربية الإنسان على النظر إلى نتائج العمل المفيد وليس مجرد العمل، بالإضافة إلى ربط فكر الإنسان في تصور النتائج إلى المعنى الأخروي وذلك لأن في بعض الاعمال خسارة دنيوية ولكن لها مردودات أخروية ونلاحظ مرحلتين في البعد النفسي فنلاحظ الآية الكريمة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

وهنا مرة أخرى ربط بين العمل الصالح والنتائج إلاّ أننا نلاحظ سرد بعض من تلك الاعمال التي قد يحس فيها الإنسان بأنه يخسر فيها دنيوياً ولكن حيث ربطها بقوله ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾. فإنه ربطٌ بين تسجيل العمل ونتائجه بمعنى ان ما تقوم به إنه يسجل في قائمة اعمالك ولا يذهب سدى بل ويتدرج في طرح مستوى التسجيل إلى أن كل عمل حتى الذي يختلج في نفسك ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ وقوله

﴿أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤﴾ وقوله ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾. والنقلة المؤثرة هي حين وصف الناس يوم القيامة وربط ذلك بنتائج العمل ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ وهو توجيه النفس إلى البعد الأخروي البحت.

فالرابط النفسي بين الإحساس بالعمل وبين النتائج المتوخاة منه، فإن كان سيئاً فعليه العقاب وإن كان حسناً فعليه الجزاء الحسن بالجنة ونعيمها ويساعد ذلك على تعزيز مبدأ تأخير اللذة والتي غالباً ما تكون هي الهاجس النفسي لمردود العمل.

وكأبلغ تقريب للموضوع ما وصف به أمير المؤمنين عليه السلام المتقين «**فالمتقون فيها هم أهل الفضائل: منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت انفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها**

فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون»[١].

واقتصرنا على نقل جزء من الخطبة وتلاحظ الدمج الكلي لدى المتقين بين العمل وبين جزائه واشارة الإمام عليه السلام بقوله «**عظم الخالق**» هي عالية المقام لتوضيح ان الذي وعد بالجزاء الاخروي هو عظيم وعادل وصادق وقادر على ما توعد به حتى تكون النفس مطمئنة بأن ما تسمعه من جزاء في الآخرة هو أمر واقع وأهمية تنمية هذا الشعور حتى لا تفقد النفس الربط اليقيني بين العمل وبين جزائه المؤجل إلى ما بعد الحياة الدنيا.

هذه الروابط النفسية[٢] تبني في النفس ابعاداً متعددة:

---

(١) نهج البلاغة/ في صفات المتقين/ صفحة ٣٠٨ والخطبة بالغة المعاني عميقة التوجيه النفسي لشحذ الهمم تجاه الله حتى ان همام وهو طالب التوجيه صعق بعد انتهاء أمير المؤمنين من خطبته ولذا حبذا لو تراجع الخطبة كاملة بل وحبذا لو تُقرأ في الاسبوع مرة فأنها من اعلى المعاني في رفع مستوى الاحساس بالله.

(٢) مبدأ الارتباط في التعلم قوي في القرن الثامن عشر الميلادي وقد تبناه دافيد هاتلي (David Hertly) (١٧٧٣ ـ ١٩٣٧م) وجميس مل (James Mill) (١٧٧٣ ـ ١٨٣٦م) وهذا المبدأ هو أن فكرة ما ترتبط بفكرة أخرى نتيجة الاقتران في الزمان والمكان، راجع كتاب الشخصية (ريتشارد لازارس) صفحة ٩٩.

١ ـ إن العمل الذي تقوم به له جزاء دنيوي وأخروي، فما تخسره في الدنيا ليس مفقوداً في الآخرة بل فيه الجزاء كما في جهاد الأعداء على مافيه من تعب نفسي وجسدي وروحي.

٢ ـ إن جزاء عملك هو لك انت وانت الذي تصنعه، ففكر فيما تبني لمستقبلك.

المرتبة الثالثة وهي مزج هذه المعاني بالكيان النفسي (التركيبة النفسية): وقد تكون هذه المرحلة ذات مستوى عالٍ عند المعصومين بشكل خاص، أو كما رأينا عند المتقين ولكنها متواجدة في الإنسان ككل إلاّ أن مستوى الربط يختلف من شخص لآخر، ففي المعصومين هو ربط سماوي بحت (أي بالسماء)، اما عند سائر البشر فإنه يختلف مستواه من موضوع لآخر، وتشتد أو تضعف من شخص لآخر فموضوع السرقة مثلاً يشتد مستواه عند أكثر الناس ولكنه يضعف عند البعض منهم نظراً للظروف الإقتصادية الضاغطة، ومع ذلك فمستوى الإقدام عليها يختلف من شخص لآخر. وشرب الخمر قد يكون عادة في بعض المجتمعات ولكنك تجد بعضاً من أفراد المجتمع لا يقدم على ذلك وخاصة عندما يُرى ذلك العاقل وهو يترنح كالمجنون الذي تتقزز النفس السوية منه. ولكن كل

ذلك مرتبط بعوامل عدة من أهمها شعور الإنسان بذاته وأحساسه بسلبية تلك المعصية ومستوى رابطية الموضوع بالنتائج المؤثرة في نفسه وأيضاً مستوى الأحساس بالوجود الغيبي لله سبحانه وتعالى. فهذه الأمور تحكمها الحالة التربوية للشخص ومدى تعمق تلك الأمور في نفسه[١].

وإن كان صفوة الخلق ينطلقون من عوامل ابعد من الثواب والعقاب ويتضح ذلك في كلمة الإمام علي عليه السلام **ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.** ولكن هذه الحالة من المعرفة والشعور بالله تعالى لا تتوفر في النوع البشري وانما يمتاز بها أولئك الصفوة من المعصومين الذين امتزج كيانهم بالله تعالى فأصبحوا لا يرون سواه.

---

(١) لابد من الاتزان في التربية بين عوامل عدة من اهمها: قدرة الإنسان النفسية والجسمية والعقلية بمقابل المعاني المطلوبة والعامل الثاني في مستوى توظيف الضمير لمنع السلوك السالب، فلا بد من التناسب، والعامل الثالث هو موازنة ذلك مع العوامل البيئية الخارجية. فهنا نظريتان مطروحتان لظاهرة التعلم. الاولى: النظرية الترابطية وهي تقوية الروابط بين مثيرات واستجابات وتدخل تحتها أيضاً نظرية التعليم الشرطي (بافلوف) ونظرية المحاولة والخطأ (ثورنديك). والثانية: نظرية الصيغ (الجشتلط) وهي عملية اعادة تنظيم فهم عناصر الموقف ذهنياً (الاستبصار) (الاسلام وقضايا علم النفس الحديث صفحة ١٤٤).

فالمراحل الثلاث تلك هي مزيج من القدرات العقلية المتعلقة بالمعرفة وخاصة العلمية ومزيج من القدرات النفسية التي إمتزج فيها الفكر بالعواطف، وخاصة في المرحلتين الثانية والثالثة، إذ في الثانية يقحم معنى العقاب والثواب وجوده مع القدرات العقلية وفي المرحلة الثالثة هي مرحلة المعرفة الترابطية والتي تكون العاطفة الذاتية بشعورها قد امتزج بالمعرفة كذات واحدة.

فلو رجعنا قليلاً إلى مناجاة التأبين في قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتي، وجللني التباعد منك لباس مسكنتي وأمات قلبي عظيم جنايتي، فاحييه بتوبة منك يا أملي وبغيتي**».

وهنا مزج الخطيئة بذاته كما في قوله «ثوب مذلتي» و«لباس مسكنتي» وهذا يحدث في المزج القلبي بين العلم بكونها خطيئة ومزجها بالذات النفسية ليتحول تصور القيام بها جزءاً من الإحساس والإدراك النفسي بالخطأ.

أما عوامل المزج فهي:

بالدرجة الأولى التربية التي عادة ما تؤثر في زرع الإحساس بأن هذه الخطيئة تعتبر أمراً سيئاً وفيه العذاب يوم

القيامة، أو فيه العار الإجتماعي كبعض الخطايا المتعلقة بالشرف مثلاً.

تنمية الشعور بالذات نحو الكمال، فإنها تجعل الإنسان يتنفر من الخطايا التي قد تلصق به حتى الصغيرة منها. فالعصمة التي نراها في المعصومين عليهم السلام، هي في مقامها الأول الإحساس بكمال ذاتهم التي تجعل أي أمر يبعد عن الروح القدسية، تتنفر نفوسهم منها.

تنمية الشعور الغيبي بالخالق وقدرته وتأثيره المباشر والمستمر على الحياة التي نعيشها.

ففي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، قال: من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شر، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى[1].

ترويض النفس على التقوى كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المنزلق[2].

---

(١) الوسائل ج ١١ ص ١٧٢ ح ٣ ـ الإشكال في داؤود الرقي.

(٢) نهج البلاغة خطبة ١٧٦ ص ٣٧٩.

المرحلة الثانية: وخز الضمير (تأنيب الضمير):

ما هو الضمير؟

طرح (فرويد)[١] نظريتة المكونة للشخصية ككيان متماسك في جهاتها الثلاث وهي (الهو) و(الأنا) و(الأنا العليا).

ويمثل (الهو): الغرائز بنحوها المطلق بالاضافة إلى غرائز اللذة والحياة والموت.

(الأنا العليا): وهي الضمير وهي مجموع القيم والمثل الدينية والاجتماعية التي تربى عليها الإنسان.

وتمثل (الأنا) الحاكم الذي يوازن بين متطلبات (الهو) وفرائض (الأنا العليا) والواقع، أي أنه يقوم بالموازنة بين مطلبين غريزيين (الهو) ومكون خارجي (الضمير) متماشياً مع الاوضاع الاجتماعية.

فالضمير هو مجموع القيم المكتسبة من المحيط الخارجي التي تكون الرقابة الداخلية على المثير، فتكون عملية (الأنا) هي التوفيق من خلال الثقافة الاجتماعية التي

---

(١) الصحة النفسية (دراسة في سيكولوجية التكيف)/ دكتور نعيم الرفاعي/ صفحة ١١٣.

تربى عليها، إلاّ أن الدكتور البستاني لم يرتض تجريد الضمير من الأصول الفطرية الملهمة في نفس الإنسان.

ووضع قيدين في الموضوع:

(فالأنا) تقوم بالتوفيق بين (الهو) و(الأنا العليا) بإدارة التمييز الفطرية التي غرزت في النفس البشرية ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ ومبادئ التمييز هي مجموع أوامر السماء ونواهيه.

و(الأنا العليا) أي الضمير ينطلق في عملية دمج متوازن مع الغرائز (الهو) منطلقة من أصل غريزي واحد هو (البحث عن اللذة واجتناب الألم) وطرفا التجاذب هما (العقل والشهوة)[١].

إلا أننا نضع تصوراً آخر كما ذكرناه في بحث سيكولوجية المعصية[٢] السابق منطلقين من نظرية الكمال، والعناصر الرئيسة فيها هي القدرة النفسية الأساسية المتوفرة في كل إنسان والمكمل لها هو العقل كما في صحيحة ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يُقسم بين العباد أقل

(١) علم النفس الإسلامي/د: البستاني/ج١ ص ٢٥.

(٢) بحث سيكولوجية المعصية ص ١٥ تحت عنوان العقل.

من خمس: اليقين والقنوع والصبر والشكر والذي يكمل له هذا كله العقل[١].

والرواية الأخرى هي رواية إبن نباته عن علي عليه السلام قال: هبط جبريل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاختر واحدة ودع إثنتين، فقال آدم عليه السلام: وما الثلاث يا جبريل؟ فقال: العقل والحياء والدين. فقال آدم فإني قد أخترت العقل حيثما كان، فقال جبريل للحياء والدين إنصرفا ودعاه، فقالا له: يا جبريل إننا أمرنا أن نكون مع العقل. فقال فشأنكما وعرج[٢].

وصحيحة إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة[٣].

بالإضافة إلى الحديث العلوي في تركيبة الإنسان من العقل والشهوة[٤].

---

(١) البحار ج ١ ح٩ ص ٣٤٢.

(٢) البحار ج١ ح٨ ص ٣٤٢.

(٣) البحار ج١ ح٢٠ ص ٣٤٧.

(٤) صحيحة عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنوا آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله=

فنلاحظ من مجموع هذه الروايات:

١ ـ أن الكيان النفسي للإنسان هو من العقل والشهوة.

٢ ـ أن مكملات العقل ستة، وهي اليقين والقنوع والصبر والشكر والحياء والدين.

٣ ـ أن هذه العناصر هي أساسيات الضمير وتتكامل بمستوى المؤثرات التربوية والبيئية في تنميتهما.

ونلاحظ أيضاً ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أأقنع أن يقال لي أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر، وأكون أسوة لهم في جشوبة العيش[١]. هي إشارة إلى أن ضميره لا يقبل بهذه المفارقة بينما قد يقبلها آخر طمعاً في التسلط على الآخرين، وما ذلك إلا للمستوى الذي ربى عليه الضمير ليصبح حياً عند هذا وضعيفاً عند ذاك.

ولعل أبلغ ما يضع الملامح العامة للضمير هو تصوير النفس بكونها لوامة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢)﴾. فالنفس التي تلوم صاحبها على الخطأ على ما

= شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم. الوسائل ج١١ ص ١٦٤.

(١) مستدرك الوسائل ج ١٦ ص ٣٠١ ب ٧٢.

قام به، هو أوضح شاهد على الضمير ويعبر القرآن في آية أخرى للضمير الميت ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ وقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾. وكأن الضمير يصل إلى مرحلة لا يتأثر بما يقوم به من أخطاء ولا يشعر بمساوئ ما يقوم به. أما عندما يستمر في الخطايا فإن الضمير يضعف عن الإحساس بالذنب شيئاً فشيئاً حتى يصبح قلبه (ضميره) ميتاً.

ولنستعرض بعضاً من هذه الروايات:

١ ـ طلحة بن زيد عن عبد الله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة. ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله[١].

ونستخلص من الرواية أموراً عدة:

* أن المؤثرات في موت القلب هو اقتراف الخطيئة التي هي مصادر إحساس الضمير بالخطأ الذي يقوم به.

* أن الإستمرار على الخطيئة تجعل نظام القيم معكوساً.

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٦٨ ح١. معاني القلب في القرآن والسنة كثيرة فقد يقصد منه العقل والعاطفة والخاطرة والروح.

* أن الخطيئة ولو تفردت في الحدوث إلاّ أن لها تأثير سلبي تراكمي على القلب (الضمير).

٢ ـ السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب وإن ترك ذكري يقسي القلوب[١].

في هذه الرواية نلاحظ مصداقين مؤثرين في التأثير على قوة القلب (الضمير) وهما:

* كثرة المال وهي تنسي الذنوب، ولعل العلاقة بينهما أن إنشغال الإنسان بكثرة ماله وكيف يحافظ عليه تجعل له الأولوية على أي أمر آخر.

* ترك ذكر الله يقسي القلب وقد يكون بنفس المتعلق في قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾[٢].

حالة تأنيب الضمير

هو شعور النفس الإنسانية بحالة من القلق والتوتر

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٩.

(٢) الوسائل ج٧ بكراهة ترك ذكر الله والضمير. وهذا المعنى للقلب المناسب لمعنى الضمير هو ما قصدناه هنا.

وتشعر النفس بحالة عدم الإستقرار فيما تقوم به، حتى ولو طال الزمن. ونستعرض بعض الروايات المؤيدة لذلك:

١ ـ صحيحة عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام (في حديث) قال: **إن المؤمن يذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له، وإن الكافر لينساه من ساعته**[(١)].

فالرواية ظاهرة في أن المؤمن يعيش حالة من الشعور بأثر الذنب حتى ولو إستمر به لفترة قد تطول والتعبير بعشرين سنة قد يكون مبالغة في طول فترة الذنب الذي لم يستغفر منه، بل قد يكون الزمن أيضاً تعبير عن تحول الذنب إلى حالة النسيان أو عدم الشعور الذي يخرج إلى السطح عندما تبدأ النفس بمراجعة حساباتها.

والتعبير بالكافر في نسيانه الذنب من ساعته يحتمل أمرين، فإما على نحو عدم شعوره بالذنب كما تحدثنا سابقاً عن المعرفة، فيكون غير شاعر بالذنب لعدم معرفته بالخطأ،

---

(١) الوسائل ج١١ بـ ٩٠ من أبواب جهاد النفس رواية ١، وكذلك صحيحة علي بن عقبة (بياع الاكيسة) قد رويت بنفس اللفظ إلاّ أن فيها زيادة بعد فيغفر له (وانما يذّكره ليغفر له)، وكأنما المراد ان الله سبحانه هو الذي يذكره حتى يستغفر ولا يخرج من الدنيا الا بالمغفرة والتوبة.

وذلك لذهوله عن طريق الحق أو أنه يعلم بكونه ذنباً إلا أنه لعدم حساسية الضمير عنده فلا يكترث به.

واحتمال المراد بالكافر هو ما يقابل المؤمن أي الذي يكفر أو ولا يشكر نعم الله عليه بخلاف المؤمن المتيقن بنعم الله، ويبعد أن يكون المراد منه الكافر بالدين الإسلامي فإن ذاك يكون مقابلاً للمسلم، ولعدم صحة علمه أو تكليفه بالفروع حتى يصح في حقه التعبير بنسيان الذنب لعدم توفر الشعور به اولاً[١] وما ورد في رواية علي بن عقبة هي إشارة إلى أن الباري تعالى ينبهه إلى تلك المعصية حتى يرد إلى الله مستغفراً من ذنوبه كلها.

٢ ـ صحيحة عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجّله الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء، وان مضت الساعات ولم يستغفر كتب عليه سيئة**[٢].

وكذلك صحيحة حفص قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام

(١) من المسائل الكلامية الخلافية وهي هل ان الكافر مكلف بالفروع أم لا! ذهب مشهور الإمامية إلى أنه مكلف بالفروع. وقد ذهب بعضٌ من الفقهاء المتأخرين إلى عدم التكليف بالفروع ومنهم السيد الخوئي (قدس سره)

(٢) الوسائل ج ١١ ب ٨٥ من أبواب جهاد النفس ج٥.

يقول: **ما من مؤمن يذنب ذنباً إلا أجّله الله سبع ساعات من النهار، فإن هو تاب لم يكتب عليه شيء وإن هو لم يفعل كتب عليه سيئة**، فأتاه عباد البصري فقال له: بلغنا أنك قلت: ما من عبد يذنب ذنباً إلا أجّله الله سبع ساعات من النهار؟ فقال: ليس هكذا قلت، ولكني قلت: ما من مؤمن وكذلك كان قولي[١].

والروايتان ظاهرتان في تأخير كتابة السيئة سبع ساعات على المؤمن ومنع تأخير الكتابة على مطلق العبد، بالاضافة إلى أن عدم كتابتها منوطة باستغفاره عن الذنب.

وقد يكون سبب ذلك بالنسبة للمؤمن هو شعوره بالذنب الذي إقترفه وإن هذه المهلة هي لإنتظار التفاعل النفسي من جراء الذنب، وهي إشارة إلى تأنيب الضمير الذي يخلق توتراً نفسياً في نفس المؤمن الذي سرعان ما يرجع عن ذنبه بالاستغفار.

وليس تخصيص المؤمن من باب التفضيل فقط بل من باب القابلية النفسية في الإستغفار، فالمؤمن نظراً لحياة الضمير عنده فإن حالة التوتر تستمر وسرعان ما يرجع عن

---

(١) المصدر السابق ج٦.

ذنبه، وأما غيره فنظراً لموت الضمير عنده والذي لا يتوقع منه الرجوع فلا داعي للتأخير.

ولذا على الإنسان أن يبادر إلى تنبيه القلب ليكون ضميره حياً في كل الأحوال ونورد هنا ثلاث طرق أساسية:

* **التفكير**: الإستمرار على حالة التفكير وجعلها عادة، ففي رواية السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك وأتق الله ربك[١].

وما قاله لقمان حينما سئل عن سبب إطالة الجلوس لوحده فقال: إن طول الوحدة أفهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة[٢]. والرواية المشهورة «**تفكر ساعة خير من قيام ليلة**»[٣].

* **محاسبة النفس**: فإنها توقظ الضمير وتجعل النفس في حالة التنبه المستمر ففي الحديث النبوي المشهور: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر[٤].

---

(١) الكافي، ص ٦٥.
(٢) البحار ج١٣ ص ٤٢١.
(٣) الكافي ج ١ ص ١٠٩، يمكن مراجعة الحديث بكامله.
(٤) الوسائل ج ١٦ ص ٩٩.

* **الدعاء وسيما الإستمرار على المناجاة**، فإن فيها إحياء للنفوس لكونها تخاطب النفس مباشرة.

لاحظ معي هذه المناجاة القصيرة بعد دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام: **إلهي قلبي محزون، ونفسي معيوب، وعقلي مغلوب، وهوائي غالب، ولساني مقرٌّ بالذنوب، فكيف حيلتي يا ستار العيوب، يا غفار الذنوب، أغفر ذنوبي بحرمة محمد وآل محمد، يا غفار يا غفار يا غفار.**

المرحلة الثالثة: الخوف:

وهو النقلة الأخيرة من مرحلة الشعور بالندم، فالنفس تتحرك من علم إلى تأنيب الضمير ولكن المرحلة المكملة لهذا الإحساس هو الخوف والذي يجعل النفس الإنسانية تشعر بتلقائية الندم على ما فعلت.

الخوف يخلق حالة من التوتر النفسي بعد توفر عاملين وهما نبضات الضمير التي تشعر الإنسان بالخطأ فيما قام به والعامل الثاني الشعور بجزاء العمل.

من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه حينما قلده مصر[1] «**....الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى**

(١) نهج البلاغة ٣٨٥، تخريج صبحي الصالح، وفي أخرى، وفي أخرى=

من خلفكم، فأحذروا ناراً مقرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة، إن إستطعتم أن يشتد خوفكم من الله، وان يحسن ظنكم له فأجمعوا بينهما، فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً من الله..».

رؤيتك للنار لا تسبب لك خوفاً، بل تتعامل معها يومياً، ولكن عندما تخرج عن إطار سيطرتك بحيث تصبح أنت معرض لإحراقها فإنك تشعر بالخوف منها ويشتد ذلك الخوف بأمرين: اقترابها منك وفقدان طريق الهروب منها.

فما يجعلك تخاف من عذاب الآخرة هو إحساسك بأن عذاب الآخرة سيكون شاملاً لك وذلك جزاء أعمالك التي اقترفتها. فمستوى التوتر الذي يخلقه الخوف هو نتيجة رابطيه العمل بالجزاء. والعامل الأهم في رفع مستوى التوتر هو الزمن الفاصل بين العمل والجزاء. فخوفك من احراق النار

= من وصية له عليه السلام لأبنه الحسن ص ٣٩٢ (..... أحيي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة و... بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره بما أصاب من قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم...).

التي خرجت عن السيطرة كما في المثال السابق أقوى عندما تكون قريبة منك وأضعف عندما تكون أبعد. ولذا فإن الشعور بقرب الأجل يؤثر في رفع مستوى الخوف والتوتر بمقدار تقدم العمر، فإنسان العشر سنوات الذي لم ينمو عنده هذا الشعور بشكل كبير يختلف عن إبن الستين الذي يحس بأن سنوات القرب والإنتهاء تقترب.

فلا بد من توفر عوامل عدة لخلق الخوف والتوتر المترتب عليه:

(١) شعور الضمير بخطأ ما تقوم به والجزاء المترتب عليه.

لا بد في الضمير أن يكون متنبهاً بأن ما يقوم به هو عمل خاطئ ويترتب على ذلك العمل ثواباً أو عقاباً، مما يجعل العمل مرتبط بنتائج مباشرة.

بل قد يكون الضمير ذاته هو المقصود بأثر العمل من حيث أنه سيفقد الإحساس بالتأثر، حيث يخاف الإنسان على قدرته نفسه كمن تخيفه بأن شرب الدواء الفلاني سيفقدك عقلك مثلاً، ولكنه سيشفي جسمك، فالإنسان يربط أولاً بين الدواء ونتائجه للأكثر أهمية عنده بحيث أنه يتردد في إقتراف أيهما.

الإستمرار على المعاصي مثلاً ترين القلب (الضمير) وتجعله ميتاً فهذا في حد ذاته عند الضمير الحي ولو كان ضعيفاً يجعله متردداً في إقتراف ذلك أو الإستمرار عليه.

(٢) الشعور بأن الفرد ذاته مقصود بالجزاء.

بمعنى أن الإنسان يعلم أن هذاالعمل سيجزى به بنفسه وليس غيره ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ بمعنى أن الإنسان يشعر بأنه مقصود بذلك العمل.

أحساس الإنسان أن الجزاء يشمل كل واحد يقلل من مستوى الإحساس ولكن إذا شعر بأنه مقصود بذاته فإن مستوى الإحساس يزداد.

(٣) قرب أو بعد زمن الجزاء من الفرد.

بعض الجزاءات الدنيوية يرفع من مستوى خوف الإنسان بينما إذا لم يرَ الإنسان أي جزاء دنيوي سيء فإنه يتمادى في الذنب. إحساسه بقرب وقوع الجزاء يرفع من مستوى التوتر والخوف.

أنواع التنبيه الإلهي:

ـ الموت والمرض.

ـ عواقب الذنوب الدنيوية.

ـ التوعد بهول يوم القيامة والنار.

الأول: الموت والمرض:

حالة الخوف من الموت هي من المشاعر المثيرة في نفس الإنسان والتي ترفع مستوى التوتر وتزداد إطراداً بتقادم العمر بالخصوص لمن عاش بضمير حي. فالإنسان في سني الشباب لا تؤثر عليه هذه الحالة كثيراً لشعوره ببعد زمن النهاية إذ أن حالة الشعور بطول الأمل ينسيه هذا الشعور[١].

دخول مرحلة الكهولة هي أول مراحل تأثير هذه الحالة إذ أنها بداية الشعور بالمنحنى الموصل إلى الموت، ولذا فإن الإنسان في هذه المرحلة يعيش نوعاً من الترقب، فهو من ناحية يشعر بأن هذه الحياة اللذيذة بدأت تقصر وأن الزمن المتبقي لمقابلة المولى بدأ يقرب أي أن العد التنازلي يدق في نفس الإنسان ناقوس المشاعر المتوترة.

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **إن العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فإذا بلغ أربعين**

---

(١) ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إنما أخاف عليكم إثنتين، إتباع الهوى وطول الأمل، أما إتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. الكافي ج ٢ ص ٣٣٦ (الرواية مجهولة بيحي بن عقيل) فالتنبيه بالموت هو من الحالات الطبيعية إلا أنه عند ربطها بما من الموت يرفع حالة الخوف تلك.

سنة أوحى الله ﷻ إلى ملكين قد عمرت عبدي هذا عمراً فغلظا وشددا وتحفظا وأكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره[١].

وكذلك روايته الأخرى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام **إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشده وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه، فإذا طعن في واحد وأربعين فهو في النقصان وينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن في النزع**[٢].

فالرواية الأولى تشير إلى جدية تسجيل العمل نظراً إلى أن الأعذار تكون قليلة والرواية الثانية هي للإشارة إلى أن حد النمو والتقاعد قد وصل المنتهى أي أنها قمة الكفاءة الجسمية وبعدها يبدأ منحنى الحياة بالنزول حتى الوصول إلى اللحظات الأخيرة.

وإن كانت الإشارة إلى أن إبن الخمسين كمن هو في النزع هي صرخة عالية إلى أن الإنسان هو قريب من نهاية الأجل فعليه السعي الحثيث لتعويض ما فات أو إصلاح أمره مع الله ومع الناس.

---

(١) الوسائل ١١ ص ٣٨١ ح ٢.

(٢) الوسائل ج٧ ص ٣٦٢.

وليتصور الإنسان نفسه في لحظة نزاعه مع الموت، يترقب توقف نفسه في أي لحظة وحوله أبناؤه وزوجته واخوته وأخواته وهو يعلم أن كل لحظة يدور عينه إلى أحدهم قد لا يرجع عليهم بنظرة أخرى وقد يود أن تطول حياته وأن يقول لأخوته وأخواته الذين لم يقم بواجبهم أن يسامحوه، الأمر هنا وإن كان بعيداً عن ذلك الجو ولكن على الإنسان إذا بلغ هذه السن أن يتصور نفسه في تلك اللحظات العصيبة وعليه أن يرجع الحقوق إلى أصحابها ويقوم بالواجبات.

ونشير هنا إلى بعض الروايات المفيدة إلى ذلك:

١ ـ جملة ما ورد عن رسول الله ﷺ الناصحة بذكر الموت[١]:

* قال ﷺ: **أكثروا ذكر هادم اللذات.**
* وقال ﷺ: **تحفة المؤمن الموت**
* وقال ﷺ: **أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا.**
* روى بعضهم أن رسول الله ﷺ مر بمجلس قد استعلاه الضحك، فقال: **شوروا مجلسكم بذكر مكدر اللذات، قالوا: وما مكدر اللذات؟ قال: الموت.**

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (محموعة ورام) ج١ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠.

وهذه الجمل من المواعظ لتذكير الإنسان بأنه يسير إلى النهاية، فإنه منذ ولادته فإن بداية عدّ الأنفاس واللحظات تعمل، والنتيجة هي السير المحدود للنهاية المحتومة.

٢ ـ مرفوعة يونس قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب، ولا خوف أشد من الموت وكفى بما سلف تفكراً وكفى بالموت واعظاً**[١].

* تأثير الذنوب على القلب وهو كما تقدم يؤثر في حالة كون القلب (الضمير) حياً وأما إذا كان ميتاً فلا أثر، وهنا نلاحظ التعبير بالوجع إذ أن حالة الذنب تخلق في القلب تأثيراً قوياً من القلق والتوتر وإلا كما قلنا سابقاً إن القلب (الضمير) الميت لا يتأثر كما في الكافر.

* إعطاء الموت أعلى حالات التأثير على النفس لإحساسها بالتقصير ووجوب العمل بل وأعطى للموت حالتين أخريين وهما أن هذا الشعور يولد حالة من التفكر في ما عمله الإنسان في الماضي وأن الموت هو خير الواعظين للإنسان.

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٧٥ ح ٢٨.

الثاني: عواقب الذنوب الدنيوية:

ونقتصر هنا على ما جاء في دعاء كميل (اللهم أغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم أغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم، اللهم أغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم أغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء...)

وهذه الكلمات تربط بعض السلبيات الإجتماعية كنزول النقم وتغير النعم وكحبس الدعاء ببعض الذنوب، وإن كنا قد نجهل مستوى ملازمة الربط بينها كما في النقم والنعم، فقد يكون هناك ممارسات لبعض من تلك الذنوب ولكن لا تصل إلى مستوى النتيجة المتعلقة بها.

فقد جاء في الرواية[1] عن أبي عبد الله عليه السلام:

* **الذنوب التي تغيّر النعم البغي.**
* **والذنوب التي تورث الندم القتل.**
* **والتي تنزل النقم الظلم.**
* **والتي تهتك الستر شرب الخمر.**
* **والتي تحبس الرزق الزنا.**

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٤٧ رواية ١.

*** والتي تعجل الفناء قطيعة الرحم.**

*** والتي ترد الدعاء وتنزل البلاء عقوق الوالدين.**

ونلاحظ أن النعم متعلقة بالبغي وهو من باب تجاوز الحد وإن كان الأقرب بمعونة بعض الروايات هو الفساد في الأرض والبغي على الإمام. والتي تنزل النقم هي الظلم كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾.

وأما التي تحبس الرزق فهو الزنا، إلى غير ذلك من الروايات الواردة في ربط بعض المصائب الدنيوية بالذنوب[١].

الثالث: التوعد بهول يوم القيامة وبالنار:

الآيات التي تحدثت عن هول يوم القيامة كثيرة جداً.

١ ـ فمنها التي تحدثت عن صورة يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾. فهو تصوير بليغ لشدة يوم القيامة وهولها.

(١) يمكن مراجعة بعض الروايات في نفس الفصل من المصدر السابق وأيضاً في ص ٥٨٩.

٢ ـ آيات كثيرة تحدثت عن النار كجزاء للكافرين والمنافقين والظالمين والعاصين.

٣ ـ آيات تكلمت عن شدة العذاب يوم القيامة من أمثلتها:

* ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1].

* ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾[2].

* ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾[3].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الحج، الآيتان: ١٩ ـ ٢٠.
(٣) سورة الصافات، الآيات: ٦٢ ـ ٦٨.

والقرآن مليء بهذه الآيات التي تتحدث عن فن العذاب يوم القيامة، وليس هناك إلا العدل والقصاص ونتائج العمل.

كلمات تأخذ بالأنفس، حميم، غساق، ماءاً حميماً، عذاب الهون، جهنم، شجرة الزقوم يغلي في البطون، خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم، فأنذرتكم ناراً تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى، درعها سبعون ذراعاً فأسلكوه.

ثم أنظر معي إلى هذه الصورة المفزعة في عذاب جهنم، ويالها من صورة مؤلمة، ومخيفة، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾[١].

صورة العذاب وشدته وليس حرارة النار من العمق فقط بل والنار التي تصب فوق الرؤوس، فياله من يوم عظيم وعذاب عظيم.

ولذا فإنه عندما يتحدث عن العذاب نرى تكرار ألفاظ

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٩ ـ ٢٢.

العذاب يوم القيامة ـ نار جهنم ـ النار ـ جهنم، ولكن حينما يريد أن يبعث في النفس الخوف ينتقل إلى حالة مفزعة جداً وهي شكل العذاب وشدته وعظمته لأن في ذلك إضافة الإنسان للنتائج السيئة لعمله السيء.

والخلاصة أن وصف العذاب وهول القيامة والحالة الطبيعة التي يراها الإنسان في نهاية حياته بالموت، بل المرض الذي يتصاعد وجوده مع تقدم العمر، فكلما طال به العمر ضعف الجسم عن مقاومة الأمراض وتقل بعد فترة أيضاً تنامي خلايا جسمه فيزداد الضعف به يوماً بعد يوم وهذه مؤثرات نفسية كبيرة لإضعاف النفس عن تماديها.

بل إن رؤيته لموت أحبائه أو مرض أعزائه وأحبائه وهم يكابدون المرض وحينما تتوقف القدرات الإنسانية عن علاج هذه الأمراض ويبقى الأمل الوحيد هو في التدخل الإلهي، لسرعان ما تتقدم نفسه منفتحة إلى بارئها ترجوه في شفاء هذا العزيز نعم هي لحظات القرب من الله ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ (فإذا أصابه الضر دعانا لجنبه).

الخلاصة:

فالندم هو مجموع تلك المراحل التي تمر بها النفس حتى تصل إلى هذه المرحلة، فبعض تلك المراحل متعلق

بذات الإنسان وكيف تندمج نفسه بالمعاني البعيدة، فكلما تكاملت النفس كلما كانت حالة الندم أسرع وببعد النفس عن الكمال يتأخر وخز الضمير وتتأخر مرتبة التوبة.

بقيت المراحل الأخرى للوصول إلى مرحلة الإستغفار والتوبة وهي العزم على ترك وتأدية الحق للناس وتأدية حق الله ومسح أثر التوبة والعمل بالطاعة.

ونتكلم فيها على نحو الإيجاز بما لا يُخل بالمعنى المراد.

المرحلة الثانية هي العزم على الترك:

والعزم هو عقد القلب على الفعل وإمضائه كما جاء في تفسير ﴿...فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1] وهي مرتبة سابقة لإرادة العمل لأنه بتحقق معنى الإرادة فإن العمل يكون تحت إرادة المريد مباشرة.

ولذا يمكننا إعتبار أن مقدمات الإرادة متوفرة في العزم إلاّ أن الإرادة هي خطوة مباشرة للقيام بالعمل.

مراحل الإرادة هي التصور ـ والتصديق ـ والشوق

---

(١) مجمع البيان ح ١ ص ٥٢٧ ـ سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

الأكيد ـ فهذه المراحل الثلاث تمر على الإنسان في تصور المعصية والتصديق بفائدتها وحلاوتها وهو العزم على الإتيان به ثم إرادة العمل.

إلا أن الوضع يختلف قليلاً في مسألة المعصية للزومها عدم العمل المحرم، وهنا لا بد من وجود دافع مسبق لمنع القيام به وخاصة أن من تمرس في المعاصي تصبح المعصية جزءاً من سلوكياته التي يقوم بها، وهنا يحتاج الإنسان إلى عزم على ترك العمل مما يستدعي ترك كل ما يثير أو يحرك النفس لتنفيذه حتى تصفى النفس من جاذبية شهوة المعصية.

فتصور المعصية ومساوئها سواء الدنيوية أو الأخروية والتصديق بأن هذه العواقب مما لا يقبلها الإنسان لنفسه كحرمانه من الجنة ودخول النار، فإن النفس يحدث عندها حالة من الخوف من المستقبل المظلم. ولذا تحدث عنده حالة التردد في المعصية سيما المعاصي التي يفترض فيها دخول النار الأبدي كالشرك والكفر وقتل النفس. وكل ذلك منوط أيضاً بمستوى تهيئة النفس للإقدام على المعصية.

فالإنسان والعياذ بالله إذا إعتاد على سماع الغناء المحرم كل مساء ثم حصلت عنده حالة الندم فإنه لا بد من العزم على ترك هذه المعصية وكلما تحركت نفسه للإستماع

إلى هذا الغناء فإنه ستمر في ذهنه تصور الموضوع وهو الغناء والتصديق بمساوئه وعواقبه المحرمة ثم الإمتناع عنه.

هذا العزم على الترك سيرتبط بعناصر وجود مثيرات المعصية والعزم على عدم الإتيان بها.

المسألة ستكون أصعب حينما تكون النفس قد تكيفت واعتادت لفترة طويلة على الإتيان بالمحرم كشرب الخمر أو الزنا أو المخدرات والتي يكون مستوى مدافعة الإنسان لهوى نفسه شديداً وخاصة إذا كان جزء من حاجة الجسم قد إعتاد على هذا الإدمان كما في المخدرات فإن مقاومته والعزم على الترك تكون صعبة للغاية.

ونرجع إلى الأمثلة المتداولة بين الناس كسماع الغناء، أو مشاهدة الصور الخلاعية أو الرقصات المائعة، فالنفس تتعود على الشعور بالنشوة والسعادة بهذه الصور وتصبح حالة مواجهة النفس أصعب مما إذا لم تعتد على ذلك.

وتزداد صعوبة مواجهة المعصية وتركها بمرور الزمن الذي تعودت فيه النفس ومدى تعمق المعصية من النفس.

فالذي اعتاد سماع الغناء لسنين عدة واستأنست نفسه بتلك الموسيقى والكلمات المثيرة تكون أصعب من شخص بدأ بسماع الغناء المحرم لفترة قصيرة، بل يختلف أيضاً

الشخص الذي تعيش نفسه حالة اللوم له على المعصية وبين شخص مسح الشيطان على قلبه كما في إبن الستين الذي استمر على المعاصي ليقول له الشيطان هذا وجه لا يفلح أبداً.

ولذا علينا بالاستمرار في الإستغفار وإن كانت حالة الإستغفار غير أكيدة لأن في ذلك استمرار حالة وعي الضمير وتأنيبه (النفس اللوامة) وأيضاً إبقاء حالة الشعور بخطأ ما يقوم به الإنسان العاصي.

حالة الإنسان الذي يشعر بتأنيب الضمير تؤثر عليه الكلمات والصنائع الخيرة في نفسه، فبشر الحافي عندما مر الإمام عليه السلام على بيته وسمع الغناء واللهو وخرجت مولاته لرمي القمامة وسألها الإمام عليه السلام، سيدك هذا حرٌ أم عبدٌ؟

وياله من سؤال مذهل، فهل كان أحد يتصور لعبد أن يملك عبداً!! وكان الجواب بل حر!

وأذهلت تلك الإجابة من الإمام عليه السلام بشر: **لو كان عبداً لاستحى من الله!**

أي كلمات فعلت فعلتها وهزت كيان بشر، ليتحول من رجل المجون والعناء إلى رجل التقوى والورع.

ولكن أليس هذا لأن عناصر ومبادئ تأثير الكلمة متواجدة في نفسه وأما إذا إنمحت هذه الأسس من النفس، فهل ستؤثر الكلمات أو الأفعال الخيّرة!!

ولا شاهد على صعوبة التأثير عندما ترى بعض الشباب وهو مقترف هذه المعصية فتنصحه ولكن أي أذن تجد فيه ليسمع كلامك!!

فالشاب يتملكه تأثير الشهوة سيما ما يتعلق باللهو والجنس لتكون تأثير هذه الكلمات على أهميتها وأثرها غير ذات أثر يذكر في نفسه.

عوامل الإستمرار على عقد القلب (العزم)

(١) الإبتعاد عن المثيرات التي تؤدي إلى المعصية.

فالإنسان أو الشاب الذي تعود على استماع الغناء مع أصحابه وأصدقائه، عليه أن يبتعد عن هؤلاء الأصدقاء لأنهم يشكلون حالة من الإثارة كلما تواجد معهم، بل قد يكون محل سخرية بعضهم غير الملتزم مما يضعف مقاومته لرد المعصية أو البقاء في جوها.

بل عليه إن أمكن الإتفاق مع هؤلاء الأصدقاء على ترك ذلك الذنب لأن في تعاهدهم على الحق تقوية لبعضهم

البعض ولكن يمكن الترتيب في القرار من محاولة ترك المعصية معهم وإن لم يكن تركهم.

② إستبدال العادات السيئة بعادات حسنة

نظراً لتجذر العادة في الإنسان مع مرور الزمن وخاصة عند الإستمرار عليها لفترة، وكما ورد عن أمير المؤمنين بأن العادة طبيعة ثانية، فالإنسان يمكن استبدال عادة بأخرى إذا وجد البديل حتى تضمحل العادة السابقة مع مرور الوقت وتصفو النفس على قبول العادات الحسنة ويضعف تأثير العادات السيئة.

وما ورد عن أصحاب أمير المؤمنين عندما مرت بهم إمرأة وطمحت عيونهم إليها فقال: إن نفوس هؤلاء الرجال طوامح، فمن رأى امرأة فأعجبته فليلامس أهله فإنما هي امرأة كامرأة.

فهذه العادة السيئة على تصفح النساء الأجنبيات وتصور المرأة بالشهوة الجنسية المحرمة، فيأتي الأمر العلوي هنا لتحويل تلك النظرة إلى نظرة مباحة بل وأكثر منها كنظرة لإفراغ العامل الغريزي الذي امتلأ بهذه النظرات.

وأيضاً الحديث المشهور (من لم يستطع الباءة فعليه بالصيام فإنه وقاء) أي من لم يستطع الزواج لإحصان نفسه

فعليه بالصيام لما فيه من إضعاف النفس والجسد عن الشهوة بجانب التمرس على الصبر عند اللذائذ.

③ تعزيز حالة الإلتزام الديني

كلما رفعت من حالة الإلتزام الديني كلما ارتفعت درجة زيادة القدرة على مقاومة المعصية، ويمكن رفع درجات ذلك بالاستمرار على العبادات اليومية والأدعية المثيرة للنفس والمؤثرة فيها سيما دعاء أبي حمزة والمناجاة المعروفة في آخر الصحيفة فإن في هذه المعاني ما تجعل الإنسان يشعر بالحاجة الماسة إلى لطف ربه به.

④ محاسبة النفس والخلوة معها:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**للمؤمن ثلاث ساعات، فساعة يناجي فيها ربه وساعة يروم معاشه وساعة يخلي بينه وبين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويحمل، وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: حرقة لمعاش أو خطوة في معاد أو لذة في غير محرم**»[١] «**من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر**»[٢] «**وليس منا من لم يحاسب نفسه كل**

---

(١) نهج البلاغة الكلمات القصار رقم ٣٩٠.

(٢) عن أمير المؤنين عليه السلام قال: من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف آمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم. الوسائل ج ١١ ح ٢١٠٧٩ ص ٣٧٩.

يوم»[١] فهذه اللحظات من محاسبة النفس تجعل النفس تشعر بالمسؤولية فيما تقوم به، ومن شأن محاسبة النفس من إيقاف التجاوزات والهفوات اليومية لترتفع درجات الإنسان في مقاومته أمام المغريات، فقد يشاهد صوراً محرمة ولكنه عندما يجلس مع نفسه لحظة المحاسبة ليؤنبها على ما إقترفته أمس أو اللحظات الماضية من أخطاء ثم إعادة التعهد مع النفس لعدم تكرارها.

بل وإعطاء هدفٍ أسمى لرفع مستوى الوصول إلى الله بالإرتفاع بالنفس درجة أعلى، فإن ذلك يرفع أيضاً من مستوى الحصانة أمام المغريات.

أما المرحلتان الثالثة والرابعة
وهما أداء حقوق المخلوقين وحق الله:

فإنهما يدخلان في الحقيقة تحت المرحلة الثانية في تعزيز حالة العزم على الترك في المعصية. فأداء حق الناس بجانب ما فيه من الشعور بنظافة النفس أمام خالقها وتشعر النفس بأن الإنسان قد دخل في عنوان الملتزم بأوامر الله

---

(١) عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً إستزار الله وإن عمل سيئاً إستغفر الله منه وتاب إليه. الوسائل ج ١١ ح ٢١٠٧٤ ص ٣٧٨.

وخاصة أن أداء حقوق المخلوقين يجعل الإنسان يشعر بعدم التوتر من حالة ظلم الناس السابقة وخاصة فيمن أخذ أموال الناس بالربا بإرجاع أموال الناس ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ فإن في هذه الحالة النفسية شعور بالرضى بالنفس ويمكن للإنسان العمل بصفاء في المجتمع المحيط.

وأما حقوق الله فإنها بالقيام بالواجبات المضيعة والإتيان بها وأداء حقها وأما المعاصي فلم تتحدث عنها الرواية، وذلك لأنه إن كانت فيما يمكن تداركه فلا بد من ذلك وإلا فلا، وكفى بالتوبة كفيلاً لمحوها.

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من أحد يظلم مظلمة إلا أخذه الله بها في نفسه وماله، فأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر له[١].

وهذه الحالة ظاهرة في كون ظلم الناس بعضهم البعض لا بد من إجراء قانون العدل في ذلك وأما ما بينه وبين ربه فإن التوبة ماحية له.

نعم تبقى بعض الحقوق للناس والتي ناقشها الفقهاء في

---

(١) الوسائل ج ١١ ح ٢٠٩٤٣ ص ٢٣٨.

إمكانية طلب العفو من صاحب الحق كما في كفارة الغيبة[١] لوجود بعض الروايات[٢] الحاثة على الإستحلال من المغتاب وتتراوح تلك الكفارة بين الإستحلال أو الإستغفار له أو التفصيل بين وصولها للمغتاب (بالفتح) فكفارتها الإستحلال. وإن كانت تناقش أيضاً مسألة الإستحلال بين لزوم الفتنة لو وصلت للمغتاب أم لا، فلا تجب إذا لزمت وتجب إذا لم تلزم.

المرحلة الخامسة: مسح أثر المعصية:

هي من أصعب مراحل التوبة إذ يحتمل النص المذكور نقاطاً عدة: «**أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالإحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد**».

١ ـ أن يكون المراد بذلك حقيقة اللحم الموجود في جسد الإنسان والذي تكون من الحرام وسيما إذا كانت تلك

---

(١) مراجعة كتاب مصباح الفقهاة/ للسيد الخوئي/ج ٢/ص (٢٠ ـ ٢٨).

(٢) النبوي: «**من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلها**». ورواية حفص بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله ما كفارة الإغتياب؟ قال: تستغفر الله لمن أغتبته كلما ذكرته). ورواية السكوني من قول الإمام عليه السلام: «**من ظلم أحداً ففاته فليستغفر الله له فإنه كفارة له**». المصدر السابق.

الخطيئة متعلقة بأكل الحرام من ربا أو حق آل محمد أو إمتزاج الحلال بالحرام مما يعنى أن هذا الجسد قد تربى وانتمى على الحرام.

وكما في قول أبي عبد الله عليه السلام: **ملئت بطونكم من الحرام.**

وهذه الحالة من الحالات الصعبة إذ على الإنسان أن يُرجع الحقوق إلى أصحابها كما في حالة الربا ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾، وستحل هذه بعض المشكلة في الأموال المتبقية بعد إرجاع المحرم منها إلى أصحابها وأما الأموال التي نشأ عليها الإنسان نفسه أو أهل بيته فالمشكلة أصعب، فما عليه سوى التقليل من الطعام الذي يسد به رمقه لفترة من الزمن حتى يكون هذا الجسد قد أخرج سموم الحرام وتبدلت هذه الخلايا المحرمة بخلايا حلال، شبيه بتحليل لحوم الحيوان الجلّال.

٢ ـ أن يكون المراد بذلك هو البكاء والحزن على الخطيئة التي كونّت هذا الجسد من المحرمات إذ بالحزن والبكاء وانحلال الجسم يتبدل مع الزمن اللحم الحلال على العظم. وتغيره وتذيبه بالأحزان هو مبالغة في الشعور بحالة الأسى والحزن الشديد على هذه المعصية

والإبتعاد فيها عن الله سبحانه واقتراف المعاصي الكثيرة والتي نشأ عليها جسدك وتأثرت بها نفسك ويكون هذا البكاء طريق لإجهاد النفس ومبالغة في تأنيبها بخطأ ما هي فيه أو قامت به حتى تنشأ النفس على بدن طاهر ونفس طاهرة.

هذان الإحتمالانِ هما من أكمل حالات التوبة ولكن هذين مما يصعب اعتيادهما بين المستغفرين التائبين ولذا فهنا لا بد من مناقشة أمرين وهما إذا وصلت حالة التوبة إلى مرحلة القنوط والأخرى ما هو أقل شيء يمكن اعتباره مقبولاً عند الشرع كتوبة.

ونذكر هنا نصاً يشير إلى حالات الذنب والإستغفار المتكرر.

محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة أما والله إنها ليست إلا لأهل الإيمان.

قلت فإن عاد بعد التوبة والإستغفار من الذنوب وعاد في التوبة؟ فقال: يا محمد بن مسلم، أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته!!

قلت فإنه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر الله،

فقال كلما عاد المؤمن بالإستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات وإياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله[١].

رواية واقد الجزري عن أبي عبد الله عليه السلام:... **قل لهم إن رحمتي سبقت غضبي فلا تقنطوا من رحمتي، فإنه لا يتعاظم عندي ذنب أغفره.**

بجانب الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[٢].

إلا أن هذه الروايات في حقيقتها تتكلم عن إمكانية غفران الذنب وتلك الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام تتكلم عن طريق طلب المغفرة ولذا فإن تلك الطريقة التي وصلت إلى مرحلة القنوط فيجب أن تتوقف ويكتفي الإنسان بما قدم طلباً للمغفرة والتوبة. ومع ذلك فهناك محذور تكرار التوبة والمعصية حقاً في كونها نوعاً من الإستهزاء بالرب[٣]. إلا أن

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٣٤.

(٢) الوسائل ج ١٥ ص ٣٠٦ باب وجوب إجتناب المعاصي.

(٣) رواية علي بن إبراهيم عن إبيه عن ياسر عن الإمام الرضا عليه السلام: قال مثل الإستغفار مثل ورق على شجرة تُحرك فيتناثر والمستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزئ بربه. الكافي ج ٢ ص ٥٠٤.

الروايات الأخرى التي أشارت إلى أن المؤمن يتكرر منه الذنب والإستغفار ويتوب الله عليه[١].

هل يمكن مسح تمام أثر المعصية؟

المعاصي مختلفة فمنها ما لا يمكن مسح أثرها بأي طريق عمله الإنسان، فالزانية إذا ولدت الولد من الزنا فإنه عار مهما استغفرت الله فإن هذا الأثر التكويني يبقى مهما صنعت أو صنع الزاني.

بعض الأمراض اليوم كالأيدز إذا كانت عبر إتصال غير شرعي[٢]، فإن هذا الأثر يبقى مهما صنع الإنسان من أعمال ليتوب إلى الله.

التوبة تكون مقبولة، ولكن الأثر باقٍ. فليست التوبة ماحية لأثر المعصية هنا. ولكن الأثر الأخروي من العقاب قد انمحى بالإستغفار والتوبة.

بعض المعاصي يمكن مسح أثرها وخاصة لمن قام ببعض المحرمات التي ليس لها جانب تكويني دائم.

---

(١) النص السابق (كلما عاد المؤمن بالإستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة).

(٢) المقصور هنا أن ما هو متعلق بموضوع التوبة هو العمل غير الشرعي وإلا فإن أثر الإيدز باقٍ حتى عبر نقل الدم مثلاً.

فالغناء وإن كان يورث النفاق كما جاء في بعض الروايات، ولكن حينما يتوب الإنسان ويبني على عدم العود إليها بناءاً صادقاً فإن أثر الغناء يُمحى مع الوقت.

شرب الخمر وإن ترك بعض الآثار التكوينية، ولكن حينما يستغفر ويترك شرب الخمر فإن الأثر يمحي.

والملاحظ في بعض المؤمنين الذين اقترفوا فواحش أو معاصٍ كثيرة في سني شبابهم، فإنهم يعانون من مشكلة تأنيب الضمير الدائم إلى درجة أن بعضهم ينبش مذكرات الماضي ليؤنب بها نفسه في الحاضر وقد يصل هذا التأنيب إلى درجة جلد الذات بشتى الصور المحزنة. بل قد تصل إلى بعض المراحل المتأخرة من تصورات وخيالات في المنام كرؤية بعض الحيوانات المفترسة تلتهمه. وما هذا إلا صورة من صور تأنيب الضمير الذي يظهر على صور متعددة، بل قد تجده يخجل من الأمر بالمعروف، وذلك لأنه قد أقترف بعض تلك الذنوب من قبل وهو الآن يأمر بالمعروف الذي قد يُعاب ببعض من تلك الذنوب!

وهذا في الحقيقة نوع من الإسراف في جلد الذات وتأنيبها على ما صنعت من معاصٍ. والمشكلة تستشري عندما ينطلق الإنسان إلى التصورات الوسواسية والتشكيكيّة في إمكانية رضى الله سبحانه بتوبته.

هذه الحالة ليست بالحالات التي يطمح في حصولها الإسلام لأنه ينطلق من منطلق التائب من الذنوب كمن لا ذنب له[١].

أو الراجع من الحج تُغفر ذنوبُه كيوم ولدتهُ أمهُ، وما ذلك إلا لأجل أن تتعادل النفس وتتزن بين شدة الذنب وبين مستوى المغفرة والتوبة التي أعطاها الله سبحانه لعباده وذلك على القول المشهور أن إبن آدم خطّاء.

المرحلة السادسة:

إذاقة الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية

هذه المرحلة هي مرحلة رفع آثار المعصية والتعويض عما فات، والتعبير بألم الطاعة هو لأن النفس لم تستأنس بعدُ بحلاوة القرب من الله التي تشعر فيه النفس بحلاوة مناجاته سبحانه. فالنفس التي حضرت تواً إلى ساحة القدس

---

(١) يمكن مراجعة روايات باب (٩٠) من كتاب جهاد النفس من الوسائل ج ١١ وقد عنونه صاحب الوسائل بباب استحباب تذكر الذنب والإستغفار منه كلما ذكره وقد أشرنا إلى الروايات الواردة في ذلك منها (أن المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له وأن الكافر لينساه من ساعته). وفي الحقيقة هي الحالة التي يذهل فيها المؤمن عن استغفار الله حتى بعد عشرين سنة فيتذكر ويغفر الله له ذنبه لا على نحو تذكر الذنب متكرراً.

الإلهية فإن عليها أن تتذوق الطاعة، ولكن بالألم بدلاً من الحلاوة حتى تتكامل النفس وتشعر بحلاوة مناجاته.

مع كل ذلك فإن النفس الإنسانية تميل إلى الشهوات التي طُبعت عليها مما يجعلها تتلاءم مع المعاصي لأن فيها تلك الملذات الشهوية. بينما الطاعة تمثل عنصراً متعباً من قيودٍ للحريات، فالإنسان حينما يجلس من النوم فإنه لا يود أن يلتزم بصلاة أو أن يجلس من النوم ليصلي صلاة الصبح مثلاً ثم يرجع لينام أو أن يأتي من العمل الشاق متعباً ظهراً ولكن يظل مطلوباً بصلاتين للظهر والعصر.

إن هذا في حد ذاته يعتبر نوعاً من القيود المتعبة، ولكن حينما تتعود النفس على الشعور بفائدة هذه الصلاة وأثرها الثوابي في الآخرة بجانب أثرها الدنيوي على الإتصال بالله حينما تتكامل والنفس وتصبح تحسُ بمعنى «**وقرة عيني الصلاة**»، كما أثر عن رسول الله ﷺ، أو حينما تستخرج السهام من جسد أمير المؤمنين عليه السلام عندما يصلي لأنه يعرج إلى ربه ولا يشعر بوجود نفسه، أليس هذا هو قمة السعادة في الإتصال ومناجاة المعبود.

أما الخطوة الحاسمة فهي كما أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «**فعند ذلك تقول أستغفر الله**». أي بعد

تمام كل تلك الخطوات التي تشعر النفس فيها بالخطأ وقبح ما عملت ثم تقوم بتصحيح كل تلك المآثر السيئة. فإنها إذا توجهت بقول استغفر الله فإن هذا الإستغفار يكون حقيقياً لا مجرد إستغفار صوري.

الخلاصة

نتهي الجزء الأول بهذه الكلمات الرائعة المقتطفة من دعاء أبي حمزة الثمالي:

أنا لا أنسى أياديك عِنْدي، وَسِتْرَكَ عَلَيَّ في دارِ الدُّنْيا، سَيِّدي اخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قَلْبي، وَاجْمَعْ بَيْني وَبَيْنَ الْمُصْطَفى وَآلِهِ خِيَرَتَكَ مِنْ خَلْقِكَ وَخاتَمِ النَّبِيّينَ مُحَمَّد ﷺ، وَانْقُلْني إلى دَرَجَةِ التَّوْبَةِ إليك، وَاَعِنّي بِالْبُكاءِ عَلى نَفْسي، فَقَدْ أفنيت بِالتَّسْويفِ والآمال عُمْري، وَقَدْ نَزَلْتُ مَنْزِلَةَ الْآيِسينَ مِنْ خَيْري، فَمَنْ يَكُونُ أسوأ حالاً مِنّي إنْ أنا نُقِلْتُ عَلى مِثْلِ حالي إلى قَبْري، لَمْ أمهده لِرَقْدَتي، وَلَمْ اَفْرُشْهُ بِالْعَمَلِ الصّالِحِ لِضَجْعَتي، وَمالي لا اَبْكي وَلا اَدْري إلى ما يَكُونُ مَصيري، وَارى نَفْسي تُخادِعُني، وأيامي تُخاتِلُني، وَقَدْ خَفَقَتْ عِنْدَ رَأسي أجنحة الْمَوْتِ، فَمالي لا أبْكي، أبْكي لِخُروجِ نَفْسي، اَبْكي لِظُلْمَةِ قَبْري، اَبْكي لِضيقِ لَحَدي، اَبْكي

لِسُؤالِ مُنْكَر وَنَكير إِياي، أَبْكي لِخُرُوجي مِنْ قَبْري عُرْياناً ذَليلاً حامِلاً ثِقْلي عَلى ظَهْري، اَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يَميني وأخرى عَنْ شِمالي، إذ الْخَلائِقُ في شَأن غَيْرِ شَأني ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١﴾ وَذِلَّةٌ، سَيِّدي عَلَيْكَ مُعَوَّلي وَمُعْتَمَدي وَرَجائي وَتَوَكُّلي، وَبِرَحْمَتِكَ تَعَلُّقي.

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

* * *

المصادر

- القرآن الكريم.
- وسائل الشيعة للحر العاملي.
- الكافي للكلين.
- الخصال ـ ابن بابويه.
- البحار ـ المجلسي.
- التوبة والتائبون ـ مهدي الفتلاوي.
- تحف العقول.
- جامع السعادات ـ النراقي.
- حق اليقين ـ السيد الاكبر عبد الله شبر.
- علم النفس الإسلامي ـ الدكتور البستاني.
- علم النفس ـ الدكتور جميل حليبا.
- فلسفتنا ـ للشهيد الصدر (رض).

- الصحيفة السجادية ـ طبعة بيروت ـ مؤسسة اهل البيت ـ الطبعة الأولى عام ١٩٨١م.
- الشخصية *Richard s. Lazarus* ـ ترجمة دكتور غنيم ومراجعه دكتور بخاتي.
- فلسفات اسلامية ـ الشيخ مغنية.
- الاربعون حديثاً ـ تقي العصر الإمام الخميني (رض).
- عقاب الذنوب ـ هاشم الرسولي المحلاتي.
- مدارس علم النفس ـ دكتور فاخر عاقل.
- سيكولوجية الطفولة والشخصية.
- الدوافع النفسية ـ دكتور مصطفى فهمي.
- سيكولوجية الاعتقاد والفكر ـ دكتور يوسف ميخائيل اسعد.
- الحرية النفسية ـ دكتور يوسف ميخائيل اسعد.
- مذاهب علم النفس ـ دكتور علي زيعور.
- الاسلام وقضايا علم النفس الحديث ـ دكتور نبيل محمد توفيق السمالوطي.
- الاخلاق ـ السيد عبد الله شبر.
- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ـ المعروف لمجموعة ورام..

- آداب النفس ـ السيد محمد العيناثي من أعلام القرن الحادي عشر.
- أضواء على دعاء كميل ـ السيد عز الدين بحر العلوم ـ دار الزهراء.
- في رحاب دعاء كميل ـ آية الله السيد فضل الله ـ دار الملاك.
- مجموعة من التفاسير كالميزان والبيان ومن وحي القرآن والأمثل والكاشف.
- مصباح الفقاهة ـ ج ٢.
- معجم رجال الحديث ـ السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره).



سيكولوجية النرفزة (العصبية)



حسين علي البيات

سنحاول في هذا الموضوع توضيح بعض الحالات النفسية التي يواجهها الإنسان خلال سير حياته، في مواجهته للمشاكل الخارجية والمشاكل النفسية الداخلية والتي يكون بعضها نتيجة التراكمات النفسية، وكيف تتحول إلى اللاشعور في بعض الأحيان لتكون مشكلة مزمنة.

وسيكون البحث حول تعريف النرفزة ومظاهرها ثم العناصر الداخلة في اثارتها مع الاشارة الموجزة للتوتر نظراً لكونها داخلة تحت مظلة التوتر النفسي واعطاء إضاءة بسيطة حول المثيرات لها كالطموح. والاشارة إلى بعض مظاهر التوتر المعروفة كالاكتئاب، ومن ثم نطرح بعض النصائح لتخفيف أو تقليل تكرار حالات النرفزة مستوحين بشكل كبير المصادر الاسلامية المتعلقة بها.

النرفزة(*) هي حالة من الانفعال النفسي يكون فيها الشخص في حالة من التوتر والضيق والانزعاج (حالة انفعالية) نتيجة للصراعات النفسية غير المُحلّة، وهو نوع من أنواع القلق العادي(١). فإذا كان الشخص منفعلاً تجاه أي تصرف أمامه ومن أي شخص كان، فيطلق عليه اجتماعياً عصبي(٢)، ويبدأ المحيطون به بتجنب الاصطدام به بأي شكل كان، فيما إذا كانوا يودون أن يتخطى هذه الحالة الانفعالية بسلام، وذلك إما بالمحافظة على سلامة العلاقة معه أو لأجل احترام شخصه بالمحافظة على ذاته.

أما إذا كان أحد الحاضرين لسوء نية يتلذذ بمواجهته وإثارته أو كونه لحسن نية ممن يود التخفيف عنه، فانهما يكونان في هذه الحالة أول المبادرين إلى مواجهته حين انفعاله، ويواجه هذا الشخص المنفعل حالتين إما:

(*) قد يكون التعريف الاخلاقي لها هو الغضب الا اننا هنا نختلف شيئاً ما نظراً لكون معنى الغضب هو كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل إلى الخارج للغلبة (جامع السادات ج١ ص٣٢١) وهنا سندرس أسباب نشوء هذا التوتر الذي يكون الغضب أو الضيق أو الاكتئاب أو اليأس بعض مصاديقة.

(١) مقدمة في علم النفس.د ـ راضي الواقفي.ص٤٤٠.

(٢) عصبي أو عصبي المزاج أو المصطلح الشعبي «معصب».

بتجنب الاصطدام بالشخص المواجه لكونه محترماً لديه كأبيه.

كونه شخصاً موقراً يكنّ له إحتراماً كبيراً فيواجه مشكلة في كيفية توجيه الانفعال.

وهنا يكون انفعاله إما:

١ ـ ايجابي وهو إظهار مشاعره بشكل تلقائي.

٢ ـ سلبي وهو كتم ذلك الانفعال والتعويض عنه بالانصراف أو تغيير الموقف إلى شكل آخر أو إجترار موضوع آخر متعلق بشخص آخر إلى كثير من التصرفات التي تنم عن الحالة الانفعاليه، ويعتمد تصرفه في نفس الوقت على حالته النفسية ومكوناتها الذاتية.

أما إذا كان الشخص المنفعل تجاه الشخص المثير، شخصاً يستطيع أن يعبر عن مشاعره بصراحه فهناك الكثير من صور تلك الإنفعالات، فتارة يصرخ وتارة يكرر عنواناً يجرح مشاعره ـ المثير ـ وهو يعلم بذلك التجريح، وكل ذلك يعتمد على:

١ ـ **اعتدال الشخص في رد الفعل.**

٢ ـ **التراكمات الشخصية تجاه الطرف المقابل.**

وهذه المشاكل تتكرر بإستمرار يومياً وفي كل مكان،

فالمدرس حينما يملُ من تصرف أحد الطلاب فتتحول الحالة إلى تراكمية، ففي حالة الانفعال يتصرف بشكل أكثر تطرفاً منه إذا لم يكن كذلك، والأخ يواجه أخاه وأباه، والزوج يواجه زوجته، والعامل يواجه زملاءه ورؤساءه، والبائع يواجه المشتري... والعكس صحيح، بمعنى آخر إنك لا يمر عليك يوم دون أن تصادف تلك الحالات سواء كنت منفعلاً أو مثيراً أو حاضراً لإحدى مواقف المواجهة. وحالات الحسد والغيرة والحقد وكثير من هذه الأمور تكون في كثير من الأحيان نتيجة للتراكمات الشخصية حيال الطرف الآخر.

مظاهر الشخصية المنفعلة:

١ ـ الهياج لأي سبب وإن كان تافهاً.

٢ ـ العدائية تجاه الآخرين.

٣ ـ الشعور بالألم الوجداني و«ندبان» الحظ.

٤ ـ كثرة التشكي من الأمراض الجسمية وإن كانت بسيطة.

٥ ـ حدوث الأمراض المتعلقة بالانفعال كالصداع وعسر الهضم والقولون.

٦ ـ توهم المرض أو توقع حالات المرض كحالات الربو أو الصداع النصفي.

عناصر هذه المواقف والمواجهات هي:

١ ـ الشخصية المنفعلة.

٢ ـ درجة الانفعال (التوتر).

٣ ـ الشخص المثير.

٤ ـ نوع الإثارة.

٥ ـ الوضع المحيط.

(١) الشخصية المنفعلة[1]:

يعلمنا العلاج السلوكي أن العصاب ما هو إلا نتاج لكفّ الدفعات الطبيعية التي تحكمها ثوابت الحياة، وقد ميز سالتر *(Salter)* بين نمطين من الشخصية من حيث التعبير عن المشاعر والأحاسيس. وهما:

* **الاولى: الشخصية المقيدة** *(Inhibitated Personality)*

وهي الشخصية المكفوفة انفعالياً أو المقيدة، وهي شخصية منسحبة تحبس وتكتم المشاعر الخاصة. فهذه الشخصية تتربى على القيود الكثيرة والكبت في المشاعر

---

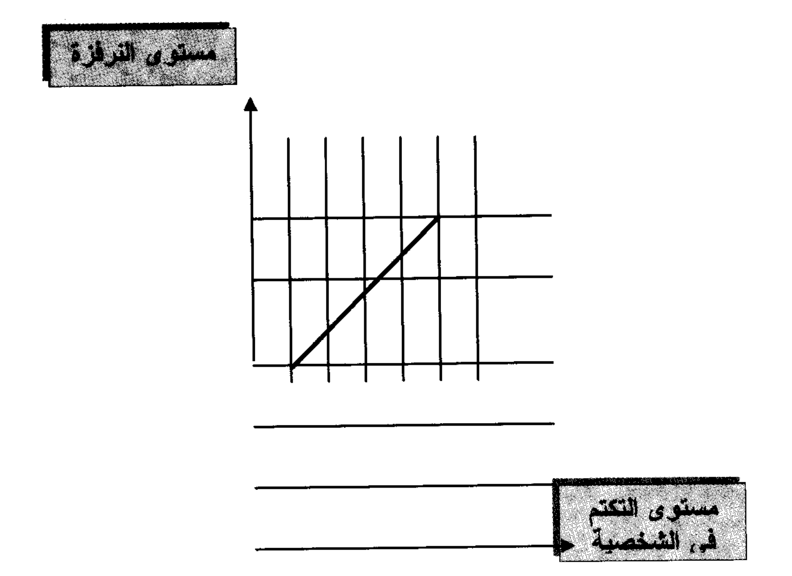
(١) الاكتئاب/ عبد الستار إبراهيم/ سلسلة عالم المعرفة عدد ٢٣٩ صفحة ٢٧٨ ـ ٢٨٠.

وحبس حالات الغضب مما يجعلها شخصية تراكمية تعيش الانفعالات بشكل مستمر.

* الثانية: الشخصية المنطلقة أو المستثارة

(Excited Personality)

وهي الشخصية المنفتحة التلقائية التي تميل إلى التعبير عن المشاعر بحرية وتلقائية، وتمتاز بالانبساط في طرح الآراء وعدم التحمس الكبير من طرح مرئياتها.



والنرفزة كما هو موضح في الشكل ترتفع بشكل مطرد مع الإنحباس والتكتم في المشاعر، ولكن التوتر ينخفض مع الشخصية المنفتحة بشكل كبير.

② درجة الإنفعال:

١ ـ أي مستوى الانفعال الذي يعايشة الشخص بين كونه انفعالاً بسيطاً أو شديداً وبين كونه حالة عصابية كبعض حالات الاكتئاب والقلق أو كونه حالة تراكمية حول شخص ما أو موضوع معين، وقد يثار في أي لحظة لرؤيته للشخص أو لتذكيره ببعض الحالات المتعلقة به.

فكل تلك الأمور تؤثر على درجة الانفعال المتوقعة من الشخص، فقد تطرح نقطة يحسبها الجميع تافهة، مقارنة بمستوى الانفعال ولكن بعد مراجعة أسباب هذا المستوى من الانفعال، فنرى أن هناك كثيراً من تلك النقاط المتعلقة به.

فملاحظات صديقي زيد لي ١) بأني أحافظ على المال كثيراً، ثم يقول بعد أيام عدة، ٢) إني لا أحب الإسراف، ثم يقول بعد أيام عدة، ٣) إني لا أحب اهدار المال، فهذه المواقف تبني حالة من التراكمية حول تصور أو تقييم هذا الصديق لي، وتولّد لدي نوعاً من الشحنة المتوترة تجاهه تكون نتيجة لتقييمي لمجموع هذه الكلمات.

يعتمد مستوى الإنفعال على قيمة هذا الصديق بالنسبة لي، وعلى تصوراتي حول أغراض هذا الصديق من قوله، فقد يكرر نفس القول صديق آخر ولكن لكوني أحمل قيمة

مختلفة عن هذا الصديق وعن أهداف قوله ما يجعل الحالة الإنفعالية مختلفة. وكل ذلك يؤثر على مستوى الانفعال، وإذا اضيف توتري لأمر آخر، فإن كثيراً من تلك التقييمات لأهداف الصديق الأول أو الثاني تختلف أيضاً في تأثيرها على درجة الإنفعال.

فعندما يكون مظهر الإنفعال وردود أفعالي شديدة نوعاً ما، مما يثير نقد الحضور لي على ذلك التصرف كون الأمر لا يستدعي كل ذلك فإن موقفي يكون في حاجة إلى توضيح، مما يضطرني إلى التصريح بكل تلك المواقف المتراكمة لتبرير هذا الموقف المتطرف.

③ الشخص المثير:

يحدد تأثير الشخص المثير حالات عدة، فكونه أباً أو أماً أو أخاً محترماً أو شخصاً كبيراً أو شخصاً مضطراً لقبول سلبياته كالاستاذ أو الرئيس مثلاً، فإن كل ذلك يؤثر على مستوى رد الفعل تجاه ما يثيره من تصرف أو ما يصل إليه من قيمة اجتماعية أو نعمة بشكل عام.

فكلمة يقولها أستاذ يُخاف من سطوته، تختلف عن أستاذ أخر أقل منه عقاباً أو يتوقع عدالة موقفه في أشد الأحوال، ولذا فإن كلمة الإمام علي عليه السلام عندما تجرأ عليه

غلامه فرد الإمام عليه السلام بأنه «**الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه**»[١] هي خير مثال على أن أمن الغلام لعقابه صار لديه تصور مختلف تجاه مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام. فكلما كان الشخص المثير أكثر إحتراماً بالنسبة للشخص المثار أو ذا قيمة إجتماعية، أو كان أقل عقاباً وسطوة من آخر أشد منه فإن رد الفعل يختلف تجاهه وكل ذلك يتأثر بمستوى القوة والضعف في الشخص ووضع الشخص المثار بالنسبة له. فقد يكون وضع الاشخاص ذوي العلاقات العائلية أكثر في التحسس بينهم نظرا لتقييم الفرد مع من هو أقرب فأقرب.

٤ نوع الاثارة:

هناك بعض الاثارات الصريحة والموجهة بشكل واضح، لذلك الشخص والكلام يكون مباشراً له، وأخرى

---

(١) البحار ج إلى ص ٤٨ و٤٩.

وتمام الرواية انه عليه السلام دعا غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت، فقال عليه السلام ما حملك على ترك اجابتي؟ قال الغلام كسلت عن اجابتك وامنت عقوبتك، فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه، امض فانت حر لوجه الله.

وموقف آخر حينما جاءه ابو هريرة وكان يتكلم فيه واسمعه في اليوم الماضي وهو عليه السلام أمير المؤمنين حينذاك ـ فسأله حوائجه فقضاها، فعاتبه اصحابه على ذلك، فقال عليه السلام إني لاستحي ان يغلب جهله علمي وذنبه عفوي ومسألته جودي.

تكون الإثارة مبطنة لكونه يتحسس من ذلك الشخص وما يحققه من اجازات شخصية أو اجتماعية فيقارن نفسه به، وأخرى تكون صريحة ولكنها أقل من حيث عدم مساسها للمثار مباشرة، وما يستعمل في مصطلحاتنا الإجتماعية من كلمة «يضرب ضربات» أي أنه يوجه كلامه بشكل مبطن، فكل ذلك يؤثر على درجة الإثارة.

⑤ الوضع المحيط:

حضور بعض الأشخاص في مكان الحدث يؤثر بشكل كبير على حالة الإنفعال، فحضور أشخاص أكنّ لهم إحتراماً كبيراً وأخاف من نشر بعض الخصوصيات الشخصية أمامهم تؤثر على درجة الإنفعال، فقد يذكر صديقي لفظة مؤثرة تجاهي أمام والديّ الذين أحاول المحافظة على صورة طيبة لديهما عني يجعل الموقف مختلفاً عما إذا كان الحاضر أخي الذي يعرف أكثر أسراري أو ممن أحتاج إلى مساندته. ولذا ترى المشرع الإسلامي يعتبر النصيحة أمام الآخرين ضرب من السباب، نظراً لكون النصيحة تتجه في تجريح الشخص وتوجيهه للوجهة الصحيحة، وذكر ذلك أمام اشخاص مهما كانوا، يضعه في خندق المواجهة والتهميش. فقد يكون هؤلاء ممن يحاول تلميع صورته الطيبة امامهم.

كما ان وجود حالات من الأمراض المتعلقة بالشخص نفسه أو بأشخاص له ارتباط بهم توثر على زيادة التأثير على الحالة الانفعالية.

التوتر

ما هو التوتر: التوتر هو حالة من الانفعال النفسي نتيجة للصراع النفسي بين الحاجات (الدوافع) ومستوى تحقيقها. فالتركيبة النفسية تحمل نظاماً متزناً لعمل (نظام التوتر) عند عدم التوازن بين الحاجات وتحقيقها، وقد حدد ليفين هذا النظام[1] في المفاهيم التالية:

١ ـ **الطاقة** *(Energy)*: وهي الطاقة النفسية التي تقوم بعملية إعادة التوازن نتيجة لوجود توتر في الجهاز النفسي.

٢ ـ **التوتر** *(Tension)*: وهي حالة المنطقة الشخصية الداخلية بالقياس مع المناطق الشخصية الداخلية الأخرى وله خاصيتان:

أ ـ الخاصية الأولى وهي تساوي التوتر داخل النظام بعملية تعادل التوتر *(Precess)*، وهي الإستعانة بكل طاقات النفس لتخفيض التوتر.

---

(١) التوتر النفسي د. سلوى الملا ص٧ ـ ١٦.

ب ـ الخاصية التصورية الذهنية الثانية للتوتر: وهي مواصلة الضغط على حدود النظام وتعتمد على مستوى صلابة النظم المجاورة.

٣ ـ **الحاجة** *(Need)*: وهو المفهوم الداخلي المحرك ويشمل الدوافع والرغبات والبواعث. ولا بد من التمييز بين حالة إشباع الحاجة بشكل معتدل أوبشكل ناقص أو بشكل زائد عن الحاجة.

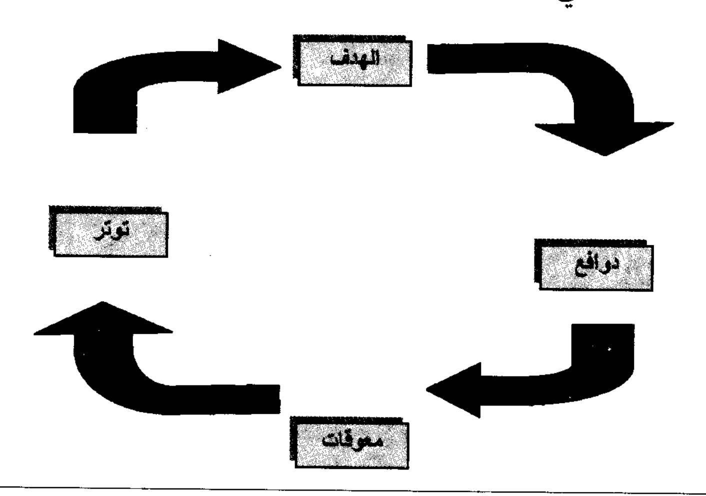
٤ ـ **التكافؤ** *(Valence)*: وهي خاصية تصورية ذهنية لمنطقة البيئة النفسية ولها قيمتان سلبية وإيجابية، فالإيجابية هي التي لديها هدف لخفض التوتر. فالجائع بعد الأكل تؤثر هذه المنطقة في تكافؤ إيجابي لخفض التوتر. وأما ذات القيمة السلبية فالخوف مثلاً له قيمة سلبية تكافئه للإبتعاد، فالتكافؤ الإيجابي يجذب والتكافؤ السلبي يطرد.

٥ ـ **الموّجه** *(Vector)*: وهو الموّجه النفسي للطاقة النفسية (القوة) لتحقيق الدوافع فحينما يصطدم الشخص بمعوقات لتحقيق هدفه سواء كانت إجتماعية أم خارجية فردية، فإن الشخص يواجه قوتين إحداهما دافعة لتحقيق الهدف وأخرى مانعة خارجية معوقة عن تحقيقه، وهنا

يقع التوازن بين قوة وقوة لتحديد الموقف النفسي من تخطي العوائق أو الرجوع عنها.

٦ ـ **المعوقات** *(Barriers)* وهي المعوقات الخارجية كالافراد والقيم الإجتماعية أو المعوقات الداخلية كالأنا العليا (الضمير) التي تعيق الكائن الحي في تحركه نحو هدفه.

٧ ـ **التوازن**: وهو الحالة التي ينظم الشخص بها نفسه من خلال القوى الداخلية في توزيع النظم الشخصية لتحمل الحالة السالبة بتعادل التوتر في أنحاء الغلاف الشخصي الداخلي.



ونلاحظ أن التوتر يستمر بإستمرار وجود الهدف ووجود المعوقات

الطموح والواقع:

فالصراع بين الطموح والواقع هو ما يخلق حالة متوترة للنفس، فالطالب يطمح إلى درجة عالية، وعندما يصطدم بدرجة منخفضة يولد لديه ذلك الشعور المتوتر، وتعتمد درجة التوتر على مستوى الطموح ومستوى الواقع النفسي للشخص نتيجة الحالة التربوية التي اكتسبها والحالة الخارجية التي سيصطدم بها مع أبويه أو مع مدرسه... إلخ.

فهنا عاملان:

أولهما: التوافق بين الطموح والواقع

وثانيهما: ردود الافعال الخارجية المتوقعة من المحيطين.

فالأمر الأول في التوافق بين الطموح والواقع يرجع إلى مكونات الشخص النفسية. فيبني الإنسان مكوناته النفسية من المؤهلات الوراثية ومن البيئة المحيطة به[1]، فالوراثة تؤهله

(١) علم النفس ـ د. البستاني ج١ ص١٢.
(إن الفارق بين ـ الاصول النفسية والاصول البيولوجية ـ هو أن الاصل البيولوجي موروث بالفعل والاصل النفسي موروث بالقوة ومعنى الفعل اننا نرث جهازاً عضلياً للمعدة يتقلص بالضرورة في حالة الجوع مثلاً أما القوة فتعني اننا نمتلك قابلية موروثة لأن نصبح ذات يوم مسالمين=

لبعض العناصر الأساسية التي يستطيع الفرد تنميتها أو إجهاضها، فالشجاعة عنصر يملكه الإنسان بالقوة ويستطيع رفع مستواه أو تخفيضه نتيجة للحالة التي سيتربى عليها، والطموح تكونه التنمية التربوية بين شعور الولد بمستوى معين يحاول الوصول إليه وينمي هذا الطموح بتنمية المقدرات النفسية والعقلية، فطموح الطالب ليكون طبيباً هو نتيجة ما لمهنة الطب من مستوى قيمي كبير في المجتمع ونتيجة ما يخلقه الوالدان والمحيط في الشخص ليكون بذلك المستوى العالي، وأيضاً بما يشعره الشخص بالحاجة إلى تلك المستويات العالية لنيل الإحترام الإجتماعي، وهذا الشخص قد يصل إلى الهدف بشكل سهل نظراً لكون قدراته العقلية مؤهلة لذلك بجانب كونه في سن تقرير هذا الإتجاه يملك نفس الشعور الذي بُني عليه، فقد يصل إلى مرحلة الثانوية ويرى أن مهنة الطب لا تحقق له التواجد الإجتماعي المستمر نظراً لارتباطها بعمل المستشفى مثلاً وهنا يعيش صراعاً نفسياً بين كثير من الطموحات المتراكمة.

= أو نصبح ذات يوم عدائيين، ان القابلية ذاتها تشكل ارثاً فطرياً، أما تحقيقها في فعل عدواني أو فعل مسالم فأمر خاضع للمحيط أي للتنشئة الاجتماعية التي تخضع لها).

فنظام التوتر يتأرجح بين:

١ ـ المكونات الذاتية والداخلية

٢ ـ المثيرات الخارجية

٣ ـ عملية تنظيم وتوازن تلك المطالب مع الواقع.

. فنمو الشخصية ونضجها ونجاحها في تحقيق الأهداف أو فشلها يتحدد بناء على تداخل عدد من العوامل. وأهم مكونات الكيان الداخلي هي[1]:

(١) المحددات الجيلية *(Constitutional Determinations)*

وهي العوامل الوراثية من استعدادات مختلفة عقلية كمستوى الذكاء أو جسمية كالقامة واللون، فكل ذلك يؤثر على حاجات الإنسان وعلى قدراته في تحقيق هذه الحاجات وهي تتأثر من موقف الغير نحو الفرد.

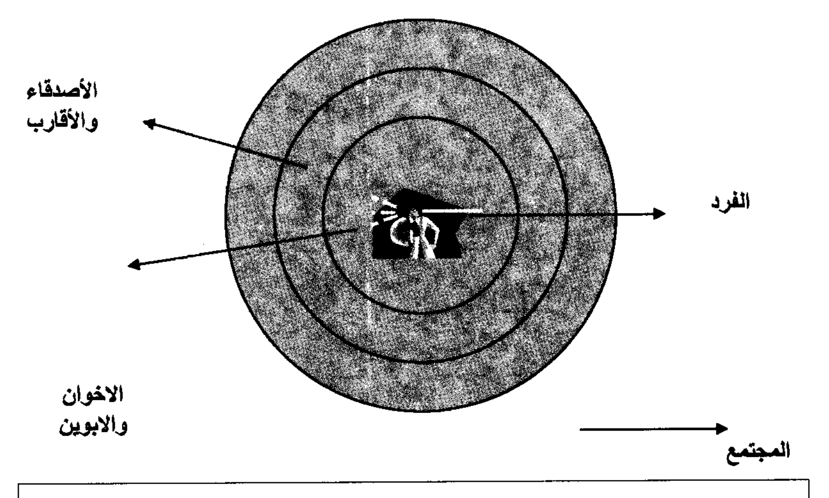
(٢) عضوية الجماعة الثقافية:

فالمجتمع بما يملك من مستوى ثقافي وطبيعة تلك الثقافة وتقاليد المجتمع وعاداته تؤثر بشكل كبير في بناء درب الفرد منذ الطفولة بل من سن الرضاع في ترتيب أوقات

---

(١) مستوى الطموح والشخصية للدكتور كاميلا عبدالفتاح ص ٦٠ ـ ٦٨.

الرضاع والنظافة إلى تدرج الطفل في مواجهة المواقف العدوانية وحماية الوالدين له. وهنا نرى ثلاث حلقات مؤثرة في تنمية الطفل وهي قريبة ومتوسطة وبعيدة.



مدى تأثر الفرد بالدائرة المحيطة به يعتمد على تكوينته الذاتية بما تصنعه من قيم لكل فرد أو للكل الإجتماعي بجانب حاجيات الفرد الذاتية نفسها.

فالقريبة هي في الوالدين والأخوة وترتيب الطفل بين إخوته في إكتسابه للعاطفة ومستواها بجانب مستوى العائلة الثقافي في تحديد الهدف المستقبلي للطفل.

والمتوسطة هي الحلقة التي تقع خارج البيت والتي للفرد علاقة بها كالاعمام والأخوال، فإن لهم تأثير أيضاً مناسب لقرب الفرد منهم وبعده عنهم، والأصدقاء وزملاء الدراسة فلهم التأثير في تحديد هدف الفرد.

أما البعيدة فهي الحلقة الإجتماعية العامة بما لها من قيم وعادات إجتماعية وأعراف بمالهم من تأثير في مستوى المهنة وتخصصها واعطاء مستويات النجاح الإجتماعي وفشله، فيحدد الفرد موقفه تجاه تلك.

٣ خبرات الفرد الذاتية:

يواجه الفرد صراعاً بين قدراته الذاتية وبين الضغوط الخارجية سواء الفرعية أو البعيدة، في تحديد الخط الذي سيسير عليه، فطموح الوالدين في الوصول إلى وضع معين يصطدم بقدرة الفرد نفسه في تلبية تلك المطالب بجانب وضعه العقلي والنفسي في تلك الدائرة، فالطفل المدلل الذي تلبى حاجاته بشكل كبير قد لا يسعى إلى تحقيق طموح الأبوين. ومع ذلك فلا يصطدم بعقبه كبيرة نظراً لمعرفته الشخصية بكون طموح الوالدين يرجع في النهاية إلى رضاه به أو رفضه له لأنه يرى أن إرادته هي المقدمة، وهذا الفرد يعيش مشاعر الاستسلام والخوف من المواقف الجديدة.

وعلى ذلك فإن طفلاً مكبلاً بالأوامر يرى صعوبة في رفض ذلك الوضع ومن بين كل ذلك فإن حاجات الفرد من خلال تكوينه التربوي النفسي قد يؤثر في إتجاهه، فالحاجة إلى التقدير الإجتماعي يجعل الفرد يسعى رغم قدراته الذاتية

إلى الوصول إلى القمم لتعويض حالة النقص في نفسه لذلك التقدير، بينما الأخ غير المدلل مع أخيه المدلل يصل إلى مستوى أعلى من ذلك نظراً لحالة النقص وإثبات الذات أمام والديه اللذين حرماه من ذلك الدلال. ويتطور هذا الصراع عبر التكوينة الذاتية والصعاب التي يواجهها، فالفرد يسعى للوصول إلى هدف ما، ويصطدم بعائق عائلي أو إجتماعي فهو إما باعادة الكرة بشكل آخر أو بنفس الشكل أو الانكفاء واختيار أهداف أخرى، ولذا فإننا نطلق على الفرد الذي سعى بنفسه رغم العوائق بأنه شخص عصامي أي لم يعتمد على الآخرين في إسناده للوصول إلى الهدف وهذا الشخص حتى في مرحلة حياته المتوسطة أو المتأخره، فإنه لا يكلّ ولا يملّ من العمل الطموح والسعي إلى الوصول إليها وقد تسمى هذه الشخصية بالشخصية العنيدة.

فالطفل يمتص القيم الإجتماعية ومبادئ المجتمع وإتجاهات الأبوين والمحيطين من خلال عمليات الثواب والعقاب والتشجيع واللوم والتقبل والنبذ، فتتكون في ضميره وتصبح فيما بعد جزءاً من شخصيته، والطفل من خلال خبراته يوفق بين تلك المتطلبات وبين قدراته في إنجازها، ولذا فإنه في أحيان يقلل من شأن بعض العادات أو التقاليد

أو المطالب الأبوية نظراً لعدم قدرته على الموافقة بينها وبين قدراته النفسية[1].

وملخص ذلك فإن كل فرد يكون خبراته الذاتية بالمتطلبات المحيطة وبالتركيبة النفسية التراكمية.

٤ المعوقات الرئيسة:

هناك الكثير من المواقف التي تعيق الفرد من إكمال خبراته بشكل طبيعي، فحدوث حريق للفرد نفسه أو موت أحد الأبوين أو إنفصال الأبوين أو عدم التوافق الكبير بين الأبوين، أو الضنك المالي الشديد، كل ذلك يضع تأثيراته في حياة الفرد النفسية، ما تجعله مع خبراته السابقة في حالة من العدوانية أو النكوص، فالعدوانية نتيجة لمصادفة الفشل الكبير تحول الفرد إلى فرد غير سوي، حيث يواجه الأفراد المصطدمين معه بعنف ولأتفه الأسباب. والشخص الناكص هو السلبي في كل المواقف التي يواجهها. فالفرد إذا تربى وبنى قدراته النفسية بشكل معتدل، قد تواجهه هذه المعوقات الكبيرة ولكنه يتخطاها بشكل كبير وأما إذا كانت كفاءته

---

(١) المقصود بالقدرات النفسية ليس إستطاعته عملها فقط، بل هو قدرته على عملها بمستوى معقول من الضغط النفسي.

النفسية ضعيفة فإن أقل تلك المواقف تجعله في حالة من الإنهزام والإنطواء.

فالنرفزة هي حالة إنفعالية متوترة تتأثر بالدوافع ودرجة تحقيقها مع التكوينية النفسية. ولكن هذه الحالة عندما تزداد تتحول إلى مرض نفسي عصابي كحالات الإكتئاب أو القلق وهذا ما يحدونا إلى ملاحظة الإنسان النفسية للوصول إلى حياة مترفة وسعيدة.

الاكتئاب(١) منه ما هو عادي ويسمى الاكتئاب الاستجابي *(Reactive Depression)* وهو استجابة عادية تثيرها خبرة طويلة كالفشل في علاقة أو خيبة أمل أو فقدان شيء مهم كالعمل أو وفاة إنسان غالٍ، وهناك الاكتئاب المرضي (العصابي) ويكون أكثر حدة ويستمر لفترات طويلة ويعوق الفرد عن أداء نشاطه وواجباته المعتادة بجانب عدم وضوح الأسباب المثيرة له، ويكون هنا المزاج مضطرباً ومشاعر النكد واليأس ممتزجة بالمشاعر العصابية كالقلق والتوحش والخوف من المستقبل ومشاعر التهديد والإحباط.

---

(١) الاكتئاب ـ د. عبدالستار إبراهيم/ سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٣٩ ص ١٦ ـ ٢٦.

ومن أنواع الإكتئاب العصابي:

(١) الإكتئاب اللزج أو (النعاب)

(Nagging or Sticlay Depression):

ويكون الشخص كثير الشكوى، ناعياً حظه باستمرار ومتفنناً في إكتشاف أخطائه والاعلان عن جوانب الضعف في حياته ونفسه والاشارة إلى سلبياته.

(٢) الاكتئاب الداخلي *(Endogenous)*:

وهو حدوث حالات من الاكتئاب دون وجود أسباب خارجية واضحة إذ لا يوجد سبب ظاهر لسبب هذه الحالة فقد يكون نتيجة تأثير اللاشعور على النفس.

(٣) الإكتئاب الدوري *(Manic Depressive Psychosis)*:

وهذه الحالة تؤثر على مشاعر المريض وعواطفه وقدراته ما يجعله يفقد الاهتمام بذاته وحاجاته الحيوية.

(٤) الاكتئاب الموسمي *(Seasonal Depression)*:

وهو ما يشيع عند بعض الاشخاص في أوقات معينة من السنة أو الشهور حينما يقصر الليل أو النهار أو حالات الشتاء والصيف، ومن عوارضه الرغبة في الانعزال والميل للحزن مع ميل شديد للأغذية الغنية بالدهون والكربوهيدرات.

مظاهر الإكتئاب بشكل عام:

١ ـ الإنهيار والكدر.

٢ ـ ضعف مستوى النشاط الحركي والخمول.

٣ ـ الشعور بتثاقل الأعباء.

٤ ـ الشكاوى الحسمية والآلام العضوية.

٥ ـ توتر العلاقات الأسرية والاجتماعية.

٦ ـ مشاعر الذنب واللوم المرضي النفسي.

٧ ـ الإدراك السلبي للبيئة والتفكير الانهزامي.

النرفزة نتيجة صراع نفسي:

يستند التفكير[١] السيكولوجي للسلوك غير السوي إلى ثلاثة عناصر:

١ ـ الحاجة (الدافع).

٢ ـ الصراع.

٣ ـ التوافق ـ (والطريق المطلوب هو التوافق) ـ

---

(١) ميادين علم النفس ـ تأليف د. ج.ب. جيلفورد وترجمة د. يوسف مراد ج٢ ص ٢٠٨ ـ ٣٣٣.

أ

العملية التوافقية:

فالإنسان السوي[١] هو الذي يتمكن من جعل توافقه مرناً وتكون لديه القدرة على استجابات منوعة تلائم المواقف المختلفة وتنجح في تحقيق دوافعه. وهي تسير بين أربعة مفاهيم:

١ ـ الدافع.

٢ ـ الاحباط.

٣ ـ الاستجابات المنوعة.

٤ ـ الحل.

وأهمها:

(١) الدافع[٢]:

---

(١) إن تطور الوظائق التوافقية وعملها الصحيح يفرضان بشكل أساسي كمال الأجهزة الحسية والحركية، أما حالات الإعاقة فهي بحد ذاتها سبب بلا تكيف، لان الادراك والنشاط (بتصرف من كتاب الأطفال وعدم التكيف. أوجيه بيروت سلسلة زدني علماً).

(٢) يرى مكدوجل ان المحرك الاولي للسلوك هو الغريزة وهي استعداد فطري نفسي يحمل الكائن الحي على الانتباه إلى مثير معين يدركه ادراكاً حسياً ويشعر بانفعال خاص عند ادراكه ومن ثم يسلك سلوكاً مينا تجاهه. كما يرى ان المتعة والالم ليسا (ينابيع) للفعل وانما يقومان=

هناك دوافع عضوية كالجوع واجتماعية كالانتماء

والدافع هو المحرك للسلوك الإنساني وهو على قسمين أولي

= بتوجيه العمليات الغريزية فتقوم المتعة بضمان استمرار الفعل المصاحب لها بينما يؤدي الالم إلى ايقاف هذا الفعل أو تحويله (الدافعية د. محمود فقيه عيسى ج ص ١٧ ـ ٢١) بينما يرى مدرس التحليل النفسي المتمثل في قطبها الكبير فرويد الغريزة في الحياة المتمثلة في الطاقة البدنية هي التي تشكل أساس دفق نشاط الإنسان وان هذه الطاقة وان كانت تعكس حافز الحب والخير الا انها تجمع معها حافز العدوان والموت والسلوك الإنساني على مستوى الشعور واللاشعور انعكاس لهذين الحافزين ونظريته في تركيبات الشخصية الاساسية:

١ ـ التركيب الاولي الذي يعتبر وعاء قوياً للغريزة التي تجاهد من أجل التفريغ، فأفكارها لايحدها منطق ولا زمان وهي اما دوافع غريزية أو أفكار تعرضت لكبت الرقابة.

٢ ـ التركيب الثاني وهو (الأنا) وهو تنظيم متماسك من العمليات العقلية الواعية وهو يقحم في حركات الإنسان المؤثر في العالم الخارجي وتحويل الافكار الكامنة في اللاشعور إلى الاحلام المقبولة في المنام.

ـ التركيب الثالث وهو (الأنا العليا) وهو منفصل عن التركيبين السابقين فهي تأخذ دور السيطرة على (الأنا).

ويرى فرويد ان منبع الطاقة المحركة للانسان في مجموعتين من الغرائز وهي غرائز الجنس وتمثل المص واللمس والنظر والجوع والعطش والمجموعة الثانية غرائز العدوانية تجاه الآخرين وتدمير الذات والموت. وان الكبت في تحقيق أيها فإن فاعليتها تستمر حتى يمكنها الظهور بأشكال سلوكية مقنعه وربما تكون غير سوية في ظاهرها. (الدافعية ص ٢١ ـ ٢٥).

وثانوي ويشتمل الأول بشكل عام على الحاجات والحوافز والمثيرات والبواعث والعادات والاهداف ودوافع ثانوية كالدوافع الذاتية كحب السيطرة، ويطلق على الدوافع بالتوتر نظراً لأن الاستمرار في وجودها يعني استمرار التوتر واشباعها يعني خفض التوتر.

(٢) الاحباط:

وهو الظرف المانع من تحقيق الدافع. وهناك صنفان للإحباط :

١ ـ **الصدّ:** وهو الاحباط الناتج عن موقف ما، فيمتنع الدافع على أثر عقبات خارجية أو نشاط أشخاص آخرين.

٢ ـ **الصراع:** وهو الاحباط الناتج عن دافع ما، أو الاحباط الداخلي فإذا أثير دافعان متناقضان في موقف بعينه كان على الشخص أن يختار أحدهما أو يصل إلى التراضي بينهما أو يظل غير مستقر دون جدوى.

مصادر الصراعات:

خلال التنشئة المبكرة للطفل كعلاقته بوالديه وكمية العطف والحنان التي يتلقاها مقارنة بنشاط والديه تجاهه

كونهما مسرفين في البرود وعدم الاستجابة وكونهما يستعملان العقاب كوسيلة وحيدة للضبط مما يولد لدى الطفل حالة من عدم الطمأنينة. فهو يحبهما ويخشاهما في آن واحد.

وينشأ الطفل في حالة من العصبية فتكون نفسيته تواقة للحنان وتخاف من فقدانه في نفس الوقت مما يجعلها شخصية مضطربة لا تعيش حياة متزنة مع الناس.

ب

سوء التوافق:

تعرف العادات التي يشبع الناس دوافعهم بواسطتها بإسم الميكانزمات[1] الدفاعية وينطوي السلوك الدفاعي على استجابات تنزع إلى تعويض عيب أو صراع شخص أو إخفائه أو تقنيعه.

وتستخدم «هذه الميكانزمات» الدفاعية للتوافق مع احباط صادر عن شعور ذاتي بالدونية وتنقسم الميكانزمات الدفاعية إلى قسمين فالاولى ذات طبيعة عدوانية والثانية ذات طبيعة إنسحابية.

---

(١) ميادين علم النفس ص ٣١٧.

الأولى: الدفاعات العدوانية:

التعويض يقام كدفاع ضد الاتهام بالفشل في التحصيل الحقيقي وللتعويض قيمتان توافقيتان:

١ ـ تحقيق بطريق غير مباشر، الدافع الذي اصابه الصد.

٢ ـ يصرف الإنسان عن التفكير في قصوره وتوجيه انتباه الغير إلى ما حققه النشاط البديل.

(٢) التقمص:

هو أيضاً من الميكانزمات الدفاعية إذ يحاول الفرد فيها الوصول إلى اشباع دوافعه عن طريق المشاركة في تحصيل اشخاص آخرين أو جهات أخرى.

(٣) الاسقاط:

وهو من الوسائل الدفاعية ضد ميول لا يقبلها لنفسه.

(٤) التبرير:

هو كالتعويض في السلوك كالادلاء بأسباب وجيهة لأفعال يعتقد دونيتها، كالأعذار التي يخترعها المنهزم في مباراة أو إمتحان.

الثانية: الدفاعات الانسحابية:

ويمثل الانسحاب البسيط أو الانعزال لوناً من السلوك

الدفاعي إذ عند وجود الصد يفضل الفرد حينئذ الانعزال ومصاحبة الناس ويؤثر النفسية المنفردة.

١ ـ **الخجل الشديد:** وهو الخوف الشديد من المواقف الاجتماعية.

٢ ـ **الخلفة:** وهو الانسحاب المسرف في الشدة ذي النغمة الانفعالية ويبدو في صورة العناد والتمرد والرفض والاستجابة السلبية لأي إيحاء اجتماعي.

٣ ـ **التمثيل أو أحلام اليقظة:** وهو يستعمل من قبل كل إنسان تقريباً بشكل معقول، وهو يمثل الطموح العالي للإنسان.

نصائح مقترحة لتخفيف مستوى النرفزة وتقليل تكرارها(*)

(١) تقليل مستوى التراكمات في المواقف من الاشخاص الذين نواجههم أو نعيش معهم.

فالكلمة التي تصدر من الصديق اما بحملها على الخير كما نرى ذلك عند المشرع الإسلامي حين يشير إلى هذه

(*) يمكن مراجعة هذه النصائح بشكل أوسع في كتاب الإكتئاب من سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٣٩ ص ٢٠٦ ـ ٢١٧.

النصيحة بشكل كبير (لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملا)[١] واما بمصارحة الشخص فعندما تصدر كلمة تثير حساسيتي فأبدأ بشكل ودي بالقول له أرجو أن لا تكون قاصداً شيئاً سيئاً من هذه الجملة أو انني أتأذى من هذه الجمل أو أني لا أحب المزاح الكثير... مما يجعل الطرف الآخر يتفهم شخصيتك وما يضايقها فيتجنب إثارتك.

٢ التكيف مع الضغوط حسب الامكان:

فهناك ضغوط مستمرة كضغوط العمل والمنزل فيمكن التعامل معها بشكل يناسب قدراتك النفسية. فشعوري بخطأ أو عدم الاعتدال في بعض قرارات إدارة المدرسة مثلاً لا يعني أنني المعني الوحيد بهذه المشكلة فنطبق **قاعدة الامكان** في التعامل معها، فأقوم بما يمكنني القيام به، فعندما أقوم بمسؤوليتي وما يتوجب عليّ فإنه يخفف مستوى التوتر لأن نظام التوتر النفسي سيتعامل مع المشكلة على أن يعادل بين الطموح في الوصول إلى كمال العمل وبين القدرات الموجودة، والقرآن الكريم يدربنا على ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾.

---

(١)

③ الاعتدال في تحقيق المطالب:

عندما يشتد الصراع مع الآخرين فلا تجعل هدفك هو الانتصار على كل حال، فالخلاف الجدلي بينك وبين أخيك أو صديقك أو طرف آخر في مجلس، قد يكون شديداً بحيث تحاول الانتصار لذاتك بأي شكل، وهنا من الافضل القبول بحل وسطي أو الانسحاب والتغاضي عن الانتصار ولذا نجد الشرع الإسلامي يشير إلى هذه الحالة (اترك الجدال وإن كنت محقاً) لان فيها المحافظة على الطرف الآخر وأيضاً تمرين الشخص على الإعتدال في المواقف وتقبل بعض النصر إذا امكن.

④ توزيع مهام الحياة:

ضع في مخيلتك أنك لن تستطيع أن تقوم بكل شيء وأيضاً أنك لن تستطيع أن تصنع كل شيء كاملاً، فالمرأة في البيت يمكنها أن لا تضع في مخيلتها أن يكون البيت نظيفاً تماماً وأن لا يصاب بأي نواقص، فيمكن ان لايكون مستوى الطموح عالياً بإستمرار بل يمكن القبول بمستوى وسطي ويمكن حل فردية العمل المنزلي بتوزيعه بين الاولاد وجعل كل منهم يقوم بوظيفة معينة وبمستوى مقبول من الترتيب.

⑤ تعوّد على الاخلاق الحميدة:

يقول الإمام علي عليه السلام: «**إن لم تكن حليماً فتحلم فإنه**

قل من تشبه بقوم الا اوشك ان يكون منهم»[١]. وأيضاً يقول: «**العادة طبيعة ثانية غالبة**»[٢]، فتعود أن تتمالك نفسك حينما تنفعل وأيضاً حاول أن تنظر إلى الامور بشكل إيجابي أكثر منه انفعالي أو عدواني، فإن ذلك يجعل تصرفاتك أقل انفعالية. فتعود مساعدة الناس تجعلك أقرب اليهم والتدريب على أن يكون الإحسان هو لأجل الله يضع نفسك في مستوى أعلى من الكمال.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[٤].

* عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان الله خص رسوله صلى الله عليه وآله بمكارم الاخلاق فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله وارغبوا إليه في الزيادة منه، فذكرها عشرة:

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٢١٢.
(٢) نهج البلاغة، قصار الكلمات رقم ٢٠٨ ص ٥٠٦.
(٣) سورة الاعراف، الآية: ٢٠١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

* اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة[١].

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: **قال أمير المؤمنين عليه السلام شيعتنا المتبادلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا المتزاورون في أحياء أمرنا، الذين إذا غضبوا لم يظلموا، وان رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا**[٢].

فهذا التطبع الجديد سوف يضع في كيانك النفسي وضعاً نفسياً أفضل ويمكنك الاستفادة أكبر من نظام الموجة للقوة لتخفيض مستوى التوتر.

(٦) الاسترخاء:

ويساعد الاسترخاء المتكرر خلال اليوم في فترات مختلفة من تخفيف عبء العمل ما يساعد على امكانية تخفيض الضغوط المتراكمة ويساعد على تقبل أعباء عمل أخرى. وتكرار الاستفادة من أيام الاجازة لتخفيف العبء النفسي بشكل أفضل.

فنوم القيلولة مثلاً قبل منتصف النهار يساعد بشكل كبير

---

(١) وسائل الشيعة في ١١ ص ١٣٩.

(٢) وسائل الشيعة في ١١ ص ١٤٧.

على تخفيف التعب الجسمي والذي بدوره يخفض من تراكم الأعباء التي تزيد من نسبة التوتر والنرفزة.

وممارسة الرياضة بشكل مستمر يساعد على تخفيف الضغوط النفسية، وكذلك المشي الفردي لمدة نصف ساعة إلى ساعة في اليوم وخاصة ببرنامج تذكر المشاكل اليومية وإيجاد حلول لها خلال المشي يخفف من مستوى التراكمات.

(٧) المحاسبة النفسية اليومية والتوبة:

ان المحاسبة اليومية تزيد من مستوى تأثير الضمير مما يزيد من نسبة التوتر النفسي في بعض الاحيان ولكن الاستمرار في ذلك سوف يحسن من عملك تجاه ربك وسلوكياتك مع الناس، مما يقلل من نسبة المعاصي والتي تجعل الإنسان يصاب بحالات عدم الاكتراث.

وعندما ينتبه الضميرفي وقت متأخر فإن تأنيبه يكون كبيراً مما يرفع من مستوى التوتر فمحاولة تفادي ذلك بالاصلاح المبكر بالمحاسبة اليومية، ماروي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر**»[1] أما حالات زيادة تأنيب الضمير حول المعصية فإن

(١) نهج البلاغة قصار الكلمات رقم ٢٠٨ ص٥٠٦.

باب التوبة والاستغفار مفتوحان مما يجعل النفسية تبدأ بصورة أفضل بصفحة الجديدة «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**».

عن أبي عبد الله عليه السلام مامن مؤمن اقترف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم بديع السماوات والارض ذو الجلال والاكرام وأسأله أن يصلي على محمد وآل محمد وأن يتوب علي الا غفرها الله له، ولا خير في من يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة[١].

فما روي عن الإمام علي عليه السلام: أنظر وجهك كل وقت في المرأة فإن كان حسناً فأستقبح أن تضيف إليه فعلاً قبيحاً وتشينه به وإن كان قبيحاً فأستقبح أن تجمع بين قبيحين[٢].

٨ اتخاد القرار:

التردد في اتخاذ القرار يجعل الإنسان في حالة من التوتر المستمر نظراً لكون المشكل لم يحل بعد، ولذا فإنه من الأفضل التوفر على دراسة الموضوع واستشارة أهل الرأي

---

(١) وسائل الشيعة في ١١ ص ٢٦٤.

(٢) سجع الحمام في حكم أمير المؤمنين عليه السلام رقم ٨٦٩ ص٢٣٣.

والثقة واتخاذ القرار فيما بعد وأن يكون حاسماً كي يفرغ الإنسان لمواجهة مشاكل أخرى.

* * *



خاتمة

وأخيراً لنسعَ إلى الكمال ونجعله هدفاً سامياً فلنضع نصب أعيننا أن نكون أفراداً متكاملين ما أمكن ولنا في أهل بيت العصمة النبع السامي لذلك، وكلما تسامت نفسك في درجة عالية ارفع مستوى الطموح خطوة إلى أعلى وإسع إلى ذلك (قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل النخعي، ياكميل مُر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم..)[1] وقال عليه السلام أيضاً عندما سئل عن الخير **«فقال عليه السلام ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت إستغفرت الله، ولا خير في الدنيا الا لرجلين: رجلٍ أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات»**[2].

---

(١) نهج البلاغة فصار الكلمات رقم ٢٥٧ ص ٥١٣.

(٢) المصدر الاساسي رقم ٩٤ ص ٤٨٤.

فالكيان النفسي الذي تكَون واشتد خلال سيرالحياة منذ الولادة يحتاج تعديلات جادة وأفضل من يقوم بإصلاحه هو الإنسان نفسه حينما يتعرف على مكنونات نفسه بشكل أفضل ليعرف مناطق الضعف فيقويها ويعرف مناطق القوة فيستعين بها في إصلاح مافسد فيها.

وكما أن الإنسان لا يحب أن يُظلم فعليه أن لا يظلم الآخرين أيضاً، فحين الإنفعال كحالات الغضب قد يشين للآخرين ويعيبهم وهي حالة لا تخلو من ظلم للآخرين ولذا فعليه الإعتدال في ردود أفعاله والعدل في مواقفه.

* * *



مصادر البحث

١ ـ علم النفس الإسلامي ـ د. محمود البستاني، الطبعة الثانية ١٩٩١، دار البلاغة.

٢ ـ مستوى الطموح والشخصية ـ د. كاميليا عبدالفتاح ط ـ الرابعة ١٩٨٤ دار النهضة العربي.

٣ ـ الدوافع النفسية ـ د. مصطفى فهمي دار مصر للطباعة.

٤ ـ ميادين علم النفس ـ د. ج.ب. جيلفورج ترجمة الدكتور يوسف مراد، الطبعةالسادسة دار المعارف القاهرة.

٥ ـ الاكتئاب اضطراب العصر الحديث فهمه وأساليب علاجه ـ د. عبدالستار ابراهيم، سلة عالم المعرفة رقم ٢٣٩.

٦ ـ علم النفس التربوي ـ د. فاخر عاقل الطبعة ١٢ يوليو ١٩٩٠ دار العلم للملايين.

٧ ـ الدافعية والانفعال ـ د. ادوارد ج. مواراي.

٨ ـ الصحة النفسية ـ د. حامد عبدالسلام زهران دار المعارف/ مصر.

٩ ـ الشخصية ـ ريتشارد س. لازاردس الطبعة السادسة ٩٣ دار الشروق.

١٠ـ التوتر النفسي ـ د. سلوى الملا الطبعة الأولى ١٩٨٢ دار القلم الكويت.

١١ـ علم النفس ـ د. جميل صليبا الطبعة الثالثة دار الكتاب اللبناني.

١٢ـ مجلة الثقافة النفسية عدد ٢ نيسان ١٩٩٠ (بيولوجيا الاضطرابات المزاجية).

١٣ـ الاطفال وعدم التكيف ـ روجيه بيرون سلة زدني علماً، منشورات عويدات.

١٤ـ الاسترخاء النفسي والعصبي ـ رولد فنك، ترجمة يوسف ميخائيل الطبعة الثانية ـ نهضة مصر.

١٥ـ مقدمة في علم النفس ـ د ـ راضي الواقفي.ط الثانية ١٩٨٩م. المؤسسة لصحفية الاردنية.

مصادر الروايات

* وسائل الشيعة الجزء ١١.
* البحار الجزء ٤١.
* سجع الكلام في حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.
* نهج البلاغة ضبط وفهرست د. صبحي الصالح، الطبعة الاولى/ دار الكتاب اللبناني.

***

المحتويات



***